الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

المعهد: الآداب واللغات
القسم: لغة وأدب العربي

المرجع:.....

الحجاج في الخطاب النبوي
ـحجة الوداع أنموذجا ـ

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

إعداد الطالب(ة):
وسيلة بـــعوش

إشراف الأستاذة الدكتورة:
وردة مسيلي

الشعبة:لغة عربية

التخصص: علوم اللسان العربي

السنة الجامعية : 2013/2012

مـــــــقدمة:

لقد بات الحديث عن الحجاج في سياق تطور العلوم الإنسانية في العقود الثلاثة الأخيرة أمرا بديهيا، حيث يعتبر أحد أهم الحقول العلمية التي تم تطويرها وإعادتها إلى واجهة البحث العلمي بمناهجه الحداثية.

فمن الصعب بعد كتابات بيرلمان وتولمين وكثيرين غيرهم، أن يتم تجاهل هذا العلم القديم، الذي أسس له " أرسطو "، كما أن حضوره الطاغي يوميا في أغلب أنواع الخطاب (السياسي، الديني والإعلامي وحتى الاقتصادي والعلمي ...) جعل من تطوره، سواءٌ على مستوى التنظير، أو ممارسة أمرا حتميا، خاصة مع تطور علوم الاتصال.

وقد وردت هذه الظاهرة- الحجاج- في القرآن الكريم الذي أنزله الله عز وجل على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ليخرج به عباده من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى الصراط المستقيم، فذكر من ذلك قوله تعالى:[وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ] – الأنعام – الآية 83.

إذ أصبحت الحجة والدليل قائمين عليه لعظمته وروعة بيانه وسحر ألفاظه وجمال معانيه، كما نجد إلى جانب ذلك الخطبة النبوية التي كانت تمثل رؤية واضحة ومنهجا اجتماعيا متوازنا متناسقا بين مراعاة حقوق الفرد والجماعة وحقوق الرجل والمرأة والأسرة؛ تقوم على قاعدة الالتزام بالحقوق والواجبات؛ وهذه الخطبة في الحقيقة دستور رائع لبناء مجتمع متكاثف متكافل يشد بعضه بعضا وتتكامل فيه جهود الفرد والجماعة والأسرة والمجتمع. وكان الرسول- صلى الله عليه وسلم – بصفته نبيا ورسولا يتحمل مسؤولية تبليغ الإسلام إلى الناس فلا مناص له من استخدام جميع وسائل الكلام لاستيفاء المهمة، لذلك كان لابد لكلامه بأن يتطابق مع مقتضى الحال.

كثيرة هي الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع دون غيره فلم يكن اختيارا عشوائيا بل عرف الأخذ والرد لموضوعات عدة، ونلخص هذه الأسباب في النقاط الآتية:

1. إن هذا النوع من الدراسات يُمكّن من اكتساب القدرة على التعبير والدفاع عن الرأي الشخصي.

2. ورود الحجاج بشكل مكثف في مختلف المجالات: الاجتماعية، السياسية والتعليمية يحتم علينا ضرورة البحث في هذه الظاهرة.

3. إضافة إلى عظم شأن هذه الخطبة التي هي آخر لقاء بين النبي_ صلى الله عليه وسلم_وأمته.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على مجموعة من المراجع تنوعت بتنوع القضايا الواردة فيه يتصدرها كتاب" عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية– وكتاب "صلاح فضل" بلاغة الخطاب وعلم النص ، ولا ننسى كتاب " عبد الله صولة" الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية.

كما استفدت أيضا من المصادر التي ظهر الحجاج فيها بتسميات ومظاهر مختلفة كالبيان والتبيين للجاحظ، وكذلك مفتاح العلوم للسكاكي وغيرهما من المؤلفات.

عند اختياري لهذا الموضوع نازعتني عدة تساؤلات جمعتها في إشكالية عامة تضمنت أهم المفاهيم الأساسية التي دار حولها بحثي، وهذا نصها:

- ما هو الحجاج ؟ كيف دُرسَ عند العرب القدماء ؟ كيف نظر إليه الغرب المحدثون؟
- ما هي التقنيات التي يعتمدها ؟ ما هي ضوابطه .
- كيف يكون الخطاب الحجاجي؟

و قد سعى هذا البحث لتحقيق أهداف معينة منها:

1.الإجابة عما ورد في نص الإشكالية.

2.محاولة إبراز ظاهرة الحجاج وأثرها في الخطبة النبوية.

3.ما موقع ظاهرة الحجاج وأثرها في الخطبة النبوية وما علاقتها بنظرية التلقي في النقد الذي يعتمد مناهج لسانية ترتكز أساسا على الملامح التخاطبية خاصة عند الأصوليين؟

4.تقديم عمل يزيد من ثراء المكتبة.

ومما لا شك فيه أن هناك دراسات سابقة لناحية من نواحي هذا الموضوع، فقد درست ظاهرة الحجاج من قبل ولكن في أجناس أدبية مغايرة، نذكر منها: دراسة عنوانه:" معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاته المختلفة، الصور السبع الطوال أنموذجا.

-دراسة دلالية معجمية –

-ودراسة أخرى بعنوان الحجاج في خطابات النبي إبراهيم عليه السلام

-ودراسة بعنوان الحجاج في الخطابة النبوية.

وكما هو معلوم فإن طبيعة المواضيع تؤدي بالضرورة إلى اختلاف المناهج غير أن جميع الدراسات اللغوية تعتمد على منهج معين هو المنهج الوصفي التحليلي ولهذا اعتمدت عليه لأنه يقوم على التحليل والوصف واستقراء بعض النتائج.

وتماشيا مع الأهداف وموضوع البحث كان لزاما عليّ تتبع المنهجية الآتية:

مقدمة وهي التي أنا بصدد كتابتها، يليها مدخل كان بوابة عبرت من خلالها إلى صلب الموضوع، وقد جاء فيه الحديث عن ظهور الخطابة وأهميتها، ومفهومها والخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه.

الفصل الأول: كان نظريا بعنوان: " النظرية الحجاجية تأصيل و تجديد ،قد حددت جملة من المفاهيم استهلت بتعريف الحجاج، بدأت بالتعريف اللغوي ثم الاصطلاحي، ثم

تحدثت عن الحجاج في التراث العربي، وكمفهوم حداثي غربي وتعرضت في الأخير إلى تقنياته و ضوابطه.

الفصل الثاني: كان تطبيقيا بعنوان:" دراسة تحليلية للخطبة في ضوء النظرية الحجاجية " وقد تناولت فيها خطبة حجة الوداع، وموضوعاتها، ثم تحدثت عن مقومات الخطابة النبوية وبلاغة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وفصاحته.

وتطرقت بعد ذلك إلى الأسلوب في خطبة حجة الوداع،حيث قمت باستخراج البنية الحجاجية الكامنة فيها، إضافة إلى الملامح التخاطبية عند الأصوليين.

وبطبيعة الحال ختمت في الأخير بخاتمة قمت فيها باستخلاص حوصلة لأهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي هذا.

ولعل أهم هذه النتائج هي: أن الحجاج يرتكز أساسا على دراسة الطريقة والأسلوب اللذين يتبناهما المتكلم للتغيير من معتقدات المتلقي وإقناعه بالموضوع المراد إيصاله إليه.

ومن طبيعة البحث الأكاديمي أن يواجه بعض الصعوبات نذكر منها:

1.نقص الكتب التي اختصت بدراسة الحجاج في المكتبات الجامعية مما أدى إلى مشقة في جمعها.

2.قلة الدراسات التحليلية للبيان النبوي.

وفي الختام أرجو أن يكون الله تعالى قد وفقني في إنجاز هذا البحث، كما أرجو أن تعم به الفائدة.

1 -ظهور الخطابة وأهميتها:

لقد عرفت الخطابة منذ عهد قديم ،وأن الاستعداد لها مخلوق مع الإنسان الذي لا غنى له عن الإبانة لغيره عما في ضميره، وعن إقناعه بصدق مقاله وسداد رأيه وتعرف للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام- فيها الحظ الأدنى والمقام الأعلى في سبيل الدعوة إلى طاعة الله وتوحيده وإرشاد الناس إلى الصراط السوي، كما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه الحكيم وقد بقي من آثارها على طول الأمد خطب التوراة التي قام بها الأنبياء عليهم السلام، إلى بني إسرائيل، كذلك عثر في كتابه الأشوريين المسمارية وآثار قدماء المصريين الهيروغليفية على خطب تأديبية جاءت غالبا على ألسنة آلهتهم وملوكهم[1].

وكان أَوّلُ من دوَّن قواعدها ثلاثة من فلاسفة اليونان في أواخر القرن الخامس وأوائل الرابع قبل الميلاد: بروديكوس وبرناغوراس ثم غورجياس سنة 370 ق.م وبظهور أرسطو زعيم فلاسفة اليونان، في أواخر القرن الرابع سنة 322 ق م صارت الخطابة فنا مدونا حيث بنى عليها أرسطو ثلاثة عناصر تتمثل في: وسائل الإقناع أو البراهين، والأسلوب أو البناء اللغوي، وترتيب أجزاء القول، ثم هناك عنصر الإلقاء الذي اعتبره الدارسون للخطابة بعد أرسطو، ومنهم البلاغيون العرب، عنصرا مستقلا ويتضمن الحركة والصوت.[2]

وانصرف اهتمام أرسطو إلى صناعة الخطابة باعتبارها حجاجا إقناعيا الهدف منه استرجاع الحقوق المسلوبة عنوة بواسطة اللغة، يهدف إنقاذ الخطابة من أزمتها الشكلية التي ترددت فيها مع السوفسطائيين وذلك على مستويين[3].

[1] علي محفوظ: فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار الاعتصام، د ط، ص:20.
[2] محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،ط2،2002م ص:20.
[3] محمد سالم الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة ،بنغازي،ليبيا،2008،ص: 46.

الأول معرفي لغوي، يتم فيه تطوير اللغة واختيار الحجج اللائقة بكل مقام، والثاني اجتماعي إنساني يعنى بقضايا الفرد والمؤسسة وعلاقة بعضهما ببعض.

وفي العصر الجاهلي كانت الخطابة من أبرز الفنون القولية المعبرة عن أحوال المجتمع العربي الوجدانية والاجتماعية والدينية والفكرية، فأرخت قبل مجيء الإسلام للمنازعات القبلية وأدهشت العربي التي بعثته على التأمل في الكون والدعوة للاعتبار بأحداثه وحقائقه "[4].

لذا يمكن القول أن الخطابة عند العرب كانت لهم ضرورية وفيهم فطرية، وإنما لم يصلنا منها إلى القليل معظمها أقوال وجيزة تلقى ارتجالا في شتى المناسبات، ومع ذلك فإن ما تبقى من خطبهم يعد سجلا تاريخيا لماضيهم وخلاصة تجاربهم في الحياة.

فلما ظهر الإسلام كانت الخطابة أول سلاح استعمل لإعلان العقيدة الجديدة والدعوة إليها، وهو ما أدى إلى ازدهارها وتعدد أساليبها وتنوع أفكارها، وقد عمق الإسلام قيمتها وجعلها من الأركان الأساسية في صلاة الجمعة والعيدين والحج، كما كانت سلاحا فاعلا في كل مناسبة يدعى فيها إلى مبادئه السمحة.وبالتالي قويت الخطابة وكثر الخطباء وأضحى المحيط الإسلامي كله مدرسة خطابية لا يمكن الاستغناء عنها بل تمثل حضورا قويا في كل مناسبة يدعى فيها إلى الإسلام ومن ذلك ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم) في خطبته يوم حجة الوداع.

وفي العصر الأموي كان حظها من الرواج في هذا العصر ما لم يكن في غيره من عصور الأدب العربي كلها وبخاصة في أول قيام الدولة ويعود السبب في ذلك إلى توفر دواعي كثيرة على رأسها الصراع السياسي والديني بين الفرق الإسلامية التي اعتمدت على الخطابة في الدعاية والتشهير فكان:"كل حزب ينتقص خصومه ويذكر معايبهم،

[4] عبد الجليل عبد شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق القاهرة ، 1986م، ص:145 و 146.

وقامت لذلك محاورات ومناظرات كثيرة عنيفة، وهي في جملتها لم تخرج عن منهج الخطابة [5].

ولما جاءت الدولة العباسية استمر الصراع بسبب الخصومات، وانتشرت الثقافة العربية وتنوعت مناهلها واستوعبت كثيرا من الثقافات الأخرى الأمر الذي أدى إلى ازدهار الخطابة وتنوعها حيث أصبحت فنا منظما قائما بذاته تناولت موضوعات الحياة المختلفة وبخاصة منها السياسية التي" اتخذتها الثورة العباسية أداتها في بيان حق العباسيين في الحكم وكانوا يحسون منذ أول الأمر بأن أبناء عمهم العلويين يضطغنون عليهم استئثارهم بالخلافة من دونهم، فمضوا يؤكدون في خطابتهم أنهم أصحاب هذا الحق" [6]، ولكن لم تستمر الخطابة السياسية في قوتها بل تضاءلت ولم يعد لها شأن يذكر، غير أن الخطابة الدينية، وما اتصل بها من وعظ ظلت مزدهرة طيلة هذا العصر.

والخطابة كانت ولا تزال سلاح المجتمع الإنساني في سلمه وحربه، لذلك ليس بدعا إن وجدناها الوسيلة الفاعلة التي اعتمدها الأنبياء في تبليغ دعوتهم إلى أممهم، ثم هي إلى اليوم تعد ضرورة حيوية للدول والشعوب والمجامع الدولية، لا يستغني عنها حاكم ولا زعيم ولا قائد ولا مصلح ولا نائب ولا معلم ولا كاتب ولا ممثل [7]

فالخطابة إذن ضرورة من ضرورات الإنسان وسلاح معنوي لا يمكن الاستغناء عنه في تواصل الأفراد والجماعات.

2 -مفهوم الخطاب:

2-1- لـــــغة:

في الثقافة العربية فإن" الخطاب" مشتق من الفعل خطب"، جاء في لسان العرب لابن

[5] عبد الجليل عبد شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، ص: 210.
[6] شوقي ضيف: العصر العباسي الأول، دار المعارف مصر،ط2،ص:448.
[7] طاهر درويش: الخطابة في صدر الإسلام، دار المعارف، مصر،ط2، 1968م، ج1،ص:7.

منظور في مادة (خطب) :" والخطاب والمخاطبة : مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبته وخطابا وهما يتخاطبان والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة"[8].

والخطاب في الثقافة الغربية اللفظ الفرنسي " discours" المأخوذ من أصل لاتيني وهو الاسم "discursus" المشتق من الفعل " discurrere" الذي يعني الجري هنا وهناك أو الجري ذهابا وإيابا، وهو فعل يتضمن معنى التدافع الذي يقترن بالتلفظ العفوي وإرسال الكلام، والمحادثة الحرة والارتجال[9] .

وهو في اللغة العربية يعني المكالمة أو الحديث أو اللغة المستعملة من بين اثنين أي لغة التفاعل، فهو بذلك نشاط تواصلي يتم من جانب واحد وهو المرسل نحو طرف آخر وهو المرسل إليه.

إن مفهوم الخطاب في اللغتين العربية والأجنبية يقوم على أساس التلفظ، ويعني الكلام أو الحديث أو اللغة المستعملة بين الطرفين أي له لغة التفاعل.

2-2- اصطلاحا:

لقد نال مصطلح الخطاب اهتماما كبيرا في الثقافة الغربية، وأول محاولة جادة تهدف إلى ضبط حدود المفهوم الفلسفي للخطاب وشحنه بدلالته الخاصة ترجع إلى أفلاطون وأرسطو، وهذا الأخير يعرف الخطابة بقوله:" الريطورية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة.[10]

[8] ابن منظور: لسان العرب المحيط، إعداد وتضيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، د ط، مادة (خطب).
[9] عبد الرحمن حجازي: الخطاب السياسي، دراسة أسلوبية، المجلس الأعلى للثقافة العاهدة، ط1، 2005م، ص :19.
[10] أرسطو طاليس:الخطابة،تحقيق وتعليق عبد الرحمان بدوي،دار القلم،بيروت لبنان ،1979م،ص:09

أما في الثقافة العربية فقد اهتم كل من علماء اللغة والبلاغة والفقه والتفسير العرب بتقديم مفهوم الخطاب، نظرا لاهتمامهم بدراسة الخطاب القرآني، واختلف هذا المفهوم باختلاف مجال الدراسة.

فهذا" إبن جني" في كتابه الخصائص، يقدم مفهوما للكلام يحيل إلى مفهوم الخطاب، إذ يعرف الكلام بأنه" كل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه"[11] ، ويضيف في موضع آخر بأنه " الجمل المستقلة بأنفسها الغانية عن غيرها"[12] .

وهذا يعني ان الألفاظ استغنت بنفسها دلاليا عن غيرها لأنها انطوت على شبكة دلالية خاصة وتامة.

أما الأصوليون القدامى فاستندت أعمالهم على الخطاب بل إنه كان محور بحوثهم، وهو يدل في عرفهم على ما خوطب به وهو الكلام، وقد عرف الآمدي الخطاب مراعيا فيه خصوصية

قصد الإفهام بقوله:" إنه اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"[13]

وقد شبه عبد القادر الجرجاني واضع الكلام بمن يأخذ قطعا من الذهب إلى الفضة فيذهب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة فيربط بين أجزاء الخطاب ربطا علائقيا بحيث يصبح مجموع الكلام كلاما واحدا.

أما علماء التفسير فقد اهتموا بشرح مفردة الخطاب التي وردت في القرآن الكريم بصيغ مختلفة، والتي جاءت أحيانا بصيغة الفعل في قوله تعالى:[وإذا خاطبكم الجاهلون

[11] ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، لبنان، د ط 2000، ج1، ص: 17.
[12] المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.
[13] علي بن محمد الآمدي:الأحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية ، بيروت، د ط،1980، ج1، ص: 136.

قالوا سلاما] _ **الفرقان_ 25** وقوله تعالى : [**وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ]_المؤمنون_23** ،وجاءت أحيانا بصيغة الاسم في قوله تعالى أيضا : [رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا] **_النبأ – 87-**

وقوله تعالى أيضا:[إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ] _النبأ_23_

ويفسر الزمخشري" فصل الخطاب" بقوله:" البين من الكلام الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه، وأردت بفصل الخطاب: الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والصواب والخطأ، ويجوز أن يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا إشباع ممل[14].

وأصبح مصطلح الخطاب في العصر الحديث يشكل موضوعا مهما في الفكر الفلسفي الغربي في اللسانيات الحديثة، وقد كان لتفريق" فرديناند دوسوسير" بين اللغة والكلام، دور في تحديد المصطلح، إذ أن اللغة تعد ملمحًا اجتماعيا يمتلكه المجتمع بأسره، أما الخطاب فيعني بالنسبة إليه منجزا فرديا ويؤخذ على أنه أنشطة وممارسات فعليه اتصالية.

الخطاب وحدة لغوية، ينتجها الباث (المتكلم)، تتجاوز أبعاد الجملة أو الرسالة بحسب رأي (هاريس)، وقد كان أول من حدد مفهومه حين قدمه كمتوالية من الملفوظات ذات علاقات معينة، ثم جاء بنفنست ليقدم تعريفا آخر للخطاب لا يقف به عند حدود الملفوظات، باعتبار الخطاب عنده كل ملفوظ يستدعي متكلما ومستمعا تكون لدى الأول نية التأثير على الآخر وبهذا يمكن أن نستشف بعض الخصائص المتمثلة في:

---

[14] الزمخشري:تفسير الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،دار الكتاب العربي ،لبنان د ط،1947م،ج4، ص: 77 و80

الخطاب نظام من الملفوظات، والتأكيد على المظهر اللفظي للخطاب يتحدد أصلا من اشتغال اللسانين على الكلام بوصفه مظهرا لفظيا خاصا بالفرد وكونه أكثر المظاهر الإشارية تعبيرا عن اللغة بوصفها قاعدة معيارية عامة.

مصدر الخطاب فردي، وهدفه الإفهام والتأثير، وكذا إيصال رسالة واضحة المرمى ومؤثرة في المتلقي.

متلقي الخطاب لابد أن يستشف المقصد الذي ينطوي عليه، وأن يتمثل الرسالة الدلالية التي تكمن فيه، وذلك لكي تكتمل دائرة الاتصال، وهنا لابد أن تحضر أيضا مكونات أخرى من عناصر نظرية الاتصال كالشفرة والسياق، لكي ينفذ قصد المرسل إلى المتلقي.

3 -الخطاب الحجاجي:

يعد الركيزة الأساسية في إيصال الأفكار، وتحقيق المقاصد بين "المتكلم" و"الملتقى" ونجده يتضمن كل وسائل الإثارة والإقناع والتحاور لاسيما في القرآن الكريم.

وهو من أكثر أنواع الخطاب إثارة لاهتمام الباحثين والدارسين، لتنوع مجالات استعماله في مختلف الظروف، ولما له من أهمية ودور فعال في إقناع الآخرين؛ فهو محاولة واعية من المتكلم التأثير في الملتقى، سواء على مستوى سلوكه، أو على مستوى معتقداته وقناعاته.

ويبني الخطاب الحجاجي وفق إستراتيجية لغوية خاصة به، تأخذ أبعادها من المجال الذي يستعمل فيه الحجاج، ومن السياق المحيط به، فقد يستعمل الحجاج في القضاء أو في السياسة أو في الدين أو في التربية، وفي جميع المجالات والأحوال يأخذ الحجاج شكلا

ومنهجا خاصا به، يعتمده المتكلم لإقناع المتلقي والتأثير فيه، مما يوحي بخصوصية طابع هذا النوع من الخطاب، قياسا ببقية أنواع الخطاب الأخرى.

4- أنواع الخطاب الحجاجي:

4-1- الخطاب الحجاجي البلاغي:

تعد البلاغة آلية من آليات الحجاج، وذلك لاعتمادها الاستمالة والتأثير عن طريق الحجاج بالصورة البيانية والأساليب الجمالية أي إقناع المتلقي عن طريق إشباع فكره ومشاعره معا حتى يتقبل القضية أو الفعل موضوع الخطاب.

وهناك من يعتقد أن البلاغة لم يعد يفهم منها سوى وظيفتها في تنميق الخطاب وزخرفته وجماليته ولا علاقة لها بالإقناع يقول محمد الولي:" وفي هذه الحالة ما دامت نواة البلاغة الحجاجية قد ألحقت بالمنطق فقد اختزلت البلاغة العامة في صيغتها الأرسطية، إلى بلاغته محسنات وزخارف" [15] فالبلاغة من هذا المنظور أصبحت بلاغة محسنات وزخارف واستعارات جمالية.

فالبلاغة على عكس ذلك فهي ذات صلة وثيقة بالحجاج، وتعد وسيلة للإقناع والتأثير كما أنها تبحث في استعمال الخطاب من أجل أن يكون مقنعا، كما أن البلاغة مفهوم منحصر في بعدها الأسلوبي، فهي تتخطى الخطابة إلى أشكال عديدة من الكتابة: كالشعر والفلسفة وغيرها، كما تشتمل على العلوم الثلاثة: علم المعاني ، وعلم البيان، وعلم البديع.

[15] محمد الولي: من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات، مجلة فكر ونقد، ع8، 1998م، ص: 137.

فعلم المعاني على حد قول السكاكي:"هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره؛ ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره"[16].

والمعاني يستهدف البحث عن كيفية تجنب الأخطاء والاستهجان في تأدية المعنى من خلال كلام معين.

أما البيان فهو يهتم بالفهم والإفهام عند الجاحظ، فيقول محمد العمري" مفهوم البيان عند الجاحظ مفهوم إجرائي: أي أنه العملية الموصلة إلى الفهم والإفهام في حالة اشتغالها فالشيء المركزي الثابت في كتاب البيان والتبين هما الفهم والإفهام بالوسائل المختلفة: الوسائل اللغوية والإشارية خاصة [17].ومن تم فالبيان عنده هو كل ما يهدف للتأثير والإقناع والاستمالة بما هو معرفي وإقناعي، ويستهدف البحث عن كيفية تجنب أوجه الغرابة والتعقيد في الكلام.

وعلم البديع هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة[18].

وهذه الوجوه ضربان ضرب يرجع إلى المعنى، وضرب يرجع إلى اللفظ.

فعلم البديع ينصب على تحسين الكلام وإضفاء جمالية التعبير عليه.

فالبلاغة بهذا طريقة ووسائل متبعة في الكلام حتى تنفذ معانيه إلى عقل وقلب المتلقي (سامعا كان أم قارئا) وما يقتضيه ذلك من وضوح ومحسنات وإبانة وإظهار وإقناع.

[16] الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة ، المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان،ص:15.
[17] محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا،الشرق، المغرب، د ط،1999م، ص:191.
[18] الخطيب القزويني: المرجع السابق، ص: 345.

4-1-1- الخصائص الأسلوبية للخطاب الحجاجي البلاغي:

وهي الخصائص والصور البلاغية المحورية التي تبناها الخطاب الحجاجي لأنها تنشط الخطاب، وذات وظيفة إقناعية هذه الصور البلاغية " عملية أسلوبية تنشط الخطاب ولها وظيفة إقناعية "[19] .

الاستعارة: وهي تنحدر مما يسمى بـــــ القياس ودروه في الأبنية البرهانية، وهي تمتد عكسيا إلى " أرسطو" الذي صنفها تحت تسمية الإستعارة الحجاجية وهو يصنفها قبل هذا ضمن الأقاويل الشعرية والخطابية معا حصرا، رغم امتدادها في نظر الدراسات البلاغية والخطابية الحديثة إلى الكلام اليومي البسيط، وبشكل عام تداولها في مختلف السلوكيات القولية للإنسان ، وتحت عنوان " حجاجية الإستعارة" يورد عمرأ وكان " تقسيمات " أرسطو الثلاثة للإستعارة وهي : الإستعارة الجمهورية ،والاستعارة الشعرية، والاستعارة الحجاجية ويقول في ذلك:" وقد أقمنا هذا التمييز انطلاقا من مقام التواصل اليومي للخطاب، فإذا كان الخطاب يهدف إلى الإقناع يكون حجاجيا، وحين يهدف إلى المتعة يكون شعريا،وحين يهدف إلى الإبلاغ يكون عاديا(متداولا) ومن هنا، فالاستعارة الجمهورية تهدف إلى الإبلاغ، والاستعارة الحجاجية تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف العاطفي أو الفكري للمتلقي، في حين أن الاستعارة الشعرية لا تهدف إلا إلى ذاتها"[20] .

وهذا يعني أن الاستعارة الحجاجية تهدف إلى الإقناع وإحداث تغير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي.

المثل: امتداد للاستعارة التمثيلية وهو صيغة لا تتغير أبدا رغم تغير السياقات التي يرد فيها باعتباره حجة ودليلا، وعلى صعيد التداولية، المثل أضيق مجالا عند وروده في

---

[19] حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري ،(مقال)مجلةعالم الفكر،الكويت،مج30،ع1،2001م ص : 110 و111.

[20] عمر أو كان: اللغة والخطاب ،إفريقيا الشرق، المغرب، د ط ، 2001م ، ص: 92.

صورة أطروحة لا نقيض لها ، لأن النقيض تداولي بتحقيقه للجدلية، " فالمثل السائر" إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب" وتتجلى تداولية المثل " الصمت حكمة " أولا في كون قائله نفسه لم يلتزم الصمت. ويأتي المثل في مظاهر عدة، المثل الجدلي وغير جدلي نص سردي سرد حواري، أمثولة.

4-2- الخطاب الحجاجي الفلسفي:

الحجاج يعد جوهري في الفلسفة، وهو آلية وإجرائية من إجرائياتها إضافة إلى فعالياته الأخرى:الخطابية والتداولية والبلاغية وبذلك يستبعد خلق مذهب أو تحليل فلسفي من الحجاج، بغض النظر عن أساليب هذا الحجاج وقيمته، فالتفكير الفلسفي تفكير حجاجي بامتياز.

وتقاس صلاحية هذا الحجاج الفلسفي بمعايير خارجية: القوة والضعف، الكفاءة وعدمها النجاح أو الفشل، الإقناع وغايته: التأثير والتقبل.

4-3- الخطاب الحجاجي التداولي:

يبعث لفظ التداولية على استحضار " نظرية أفعال الكلام " كون الأفعال الكلامية غرضا رئيسا للتداولية، ورصدها بتنوعها وعلى اختلاف الأبعاد التداولية المتعددة المستويات التي يتيح تحققها إمكانية معرفة توجه الخطاب الحجاجي التداولي .

"إن التداولية حقل لساني يهتم بالبعد الإستعمالي أو الإنجازي للكلام، ويأخذ بعين الاعتبار المتكلم والمتلقي والسياق".[21]

فالتداولية إذن علم تواصلي جديد، يعالج كثيرا من ظواهر اللغة ويفسرها ويساهم في حل مشاكل التواصل ومعوقاته، ومما ساعدها على ذلك أنها مجال رحب يستمد معارفه

---

[21] قدور عمران:البعد التداولي الحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، أربد ، الأردن،ط1، 2012م،ص:7.

من مشارب مختلفة، فنجده يستمد من علم الاجتماع ، وعلم النفس المعرفي، واللسانيات، وعلم الاتصال والأنثروبولوجيا، والفلسفة التحليلية [22].

وتهدف التداولية إلى تطوير نظرية أفعال الكلام أي للأنماط المجردة أو للأصناف التي تمثل الأفعال المحسوسة الشخصية التي ننجزها أثناء الكلام.

وترتبط نظرية الأفعال الكلامية بقطبين اثنين:" أوستن Austin " و"سيرل Searle " الذين قعدا لهاعن طريق محاولتهما لتقسيم الجمل أو بتقسيم أوستن للجملة الخبرية إلى: وصفية ، إنشائية، ثم عدوله عن هذا التقسيم انطلاقا من تساؤله " كم معنى هناك على أساسه يكون قول شيء هو نفسه فعل شيء، أو يكون متضمنا من قولنا شيئا، فعلنا لشيء معين،أو يكون بواسطة قولنا شيئا فعلنا لشيء ما"[23] .

فالنظرية التداولية تلح إذن على الدور الذي يقوم به المتخاطبون في العالم الاجتماعي فهؤلاء المتخاطبون لا يتفاعلون فيما بينهم بواسطة اللغة فحسب، بل إنهم يقبلون ذلك التفاعل ويتعاونون عليه.[24]

" فالتداولية ليست علما لغويا محضا، بالمعنى التقليدي، علما يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية، ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل، يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال؛ ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة " التواصل اللغوي وتفسيره".[25]

---

22 باديس لهويمل: التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، ع7، 2011م، ص :155.

23 طالب سيد ها شم الطبطباتي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، 1994م، ص:7.

24 صابر الحباشة، عبد الرزاق الجمايعي: التداولية من أوستين إلى غوفمان، عالم الكتب الحديث، أربد- الأردن، ط1، 2012م،ص: 63.

25 مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان،ط1، 2005م، ص:16.

وعلى الرغم من أن وجهات النظريين الدارسين حول " التداولية" تختلف من حيث تساؤلاتهم عن القيمة العلمية للبحوث التداولية وتشكيكهم في جدواها. فان معظمهم يقر بأن قضية التداولية هي" إيجاد القوانين الكلية للإستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير التداولية، من ثم جديرة بأن تسمى" علم الاستعمال اللغوي".

4-3-1- الخصائص الحوارية للخطاب الحجاجي التداولي:

تعد الحوارية من أهم مستويات تجلي البعد التداولي للخطاب الحجاجي وهي العلاقة التخاطبية بين المخاطب والمخاطب. وهذا ما جاء به فرانسواز أرمينكو في قوله:" تعد الحوارية مكون لكل كلام، وتعرف توزيعاً لكل خطاب إلى لحظتين توجدان في علاقة حالية ويقدم المبدأ الحواري من خلال الحدود التالية:" كل تلفظ يوضع في مجتمع معني، لابد أن ينتج بطريقة ثنائية، تتوزع بين المتلفظين الذين يتمرسون على ثنائية الإصاتة وثنائية العرض"[26] .

فالحوارية وحجاجها تعد من نتائج العملية التواصلية.

التشخيص:(personnification) :

وهو خاصية تلفظية كما يسميها "بانفينيست"، حيث إن التلفظ يتميز بحدة العلاقة الخطابية مع الشريك سواء أكان حقيقيا أو متخيلا، فرديا أو جماعيا ، وهذه الخاصية تطرح ما يسمى بـــــ" الإطار التشخيصي للتلفظ" وهذا التلفظ كبنية حوارية يتخذ صورتين ضروريتين: مصدر التلفظ وهدف التلفظ.[27]

[26] حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص : 102 و103.
[27]المرجع نفسه،ص:104

وهنا يتضح أن حقيقة الخطاب ليست هي مجرد الدخول في علاقة مع الغير،وإنما هي الدخول معه فيها على مقتضى الإدعاء والاعتراض، بمعنى أن الذي يحدد ماهية الخطاب إنما هو :" العلاقة الاستدلالية ، وليس العلاقة التخاطبية وحدها: فلا خطاب بغير حجاج ، ولا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة " المدعي" ولا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة المعترض"[28].

أي هو تجريد ذات ثانية ينزلها المخاطب من نفسه منزلة المعترض على دعواه وهو بذلك نوعان:

1. **صريح:** عند اتخاذ مواقف علنية معينة.
2. **ضمني:** عندما يجرد المتكلم (خطيبا أوكاتبا) من نفسه محاججا أي محاورا خاصا يتناول هموم المتخاطبين، ويساعده على تبين هفوات الطرح، وأماكن الضعف فيه، وذلك لكي لا يقع في بعض العيوب الخطابية أو الكتابية التي تدخل التناقض والتفكك إلى النصوص.

المقام (situation):هو مفهوم تجريدي يدل على الموقف التواصلي ويقرن صلاح فضل مصطلح المقام بالسياق في التداولية، وذلك لأن التداولية "هي العلم الذي يعني بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منظم مما يطلق عليه سياق النص.[29]

فالتداولية إذن تعني بالشروط والقواعد اللازمة للملاء مة بين أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصة به.

[28] طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكرثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ط1،1998م، ص :226.
[29] صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 21.

ويأتي مفهوم التداولية ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة " مقتضى الحال" وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية " لكل مقام مقال"[30].

إن الدراسات التداولية تناولت الخطاب الحجاجي من حيث الآليات التي تضمن نجاحه وفعاليته وتناولت استراتيجيات الخطاب الحجاجي من مختلف أبعاده ومراميه وغاياته، وقد تجسدت هذه الآليات في عدة مستويات أهمها: مستوى أفعال اللغة المتداولة ومستوى التحاور، وبالتالي يمكن عد الحجاج آلية حوارية تداولية – تخضع فيه الحجج للنشاط الآلي للفعل اللغوي.

[30] صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص: 21.

تمهيد:

الحجاج أسلوب لغوي اجتماعي فعال يعتمد على العقل، غايته إقناع المعترض برأي من الآراء لكسب تأييده والتأثير فيه، ذلك عن طريق تقديم جملة من الإثباتات تجعل المتكلم قادرا على الشرح والتوضيح لخصمه بغرض إقناعه.

ونظرا لأهميته فقد كان محط دراسة مختلف الحقول المعرفية كالفلسفة، المنطق اللسانيات وتخصصات أخرى، وهذا راجع لتعدد مجالات استعماله بين الخطب والمناظرات والمقالات التي كان لها الفضل في شيوع النزعة العقلية القائمة على البرهنة التي وإن كانت لا تخلو من الذاتية فإنها توظف العمليات العقلية التي ينتقل بها الفكر من قضية إلى أخرى: كالاستقراء، القياس، الاستدلال السببي، والاستدلال الجدلي وغيرها.

وقد كان لتعدد دراسات الحجاج أثر في تشعب قضاياه حيث كانت كل دراسة أشمل وأكثر استيعابا من سابقتها غير أن جميعها تتفق في اعتباره من أهم أساليب الإقناع في مختلف المواقف والقضايا.

مفهوم الحجاج:

استعملت الحجة كمرادف للدليل، كما أن هناك من يرى لها استعمالا آخر بمعنى أخص، منها إفادة الرجوع أو القصد، إفادة الغلبة، وهذان المصطلحان يحيلان في مفهومهما إلى الرجوع إلى القصد و إلزام الغير بالحجة بحسب الحاجة إلى استعمالها في الخطاب.

1-1 لـــــغة:

اهتمت المعاجم اللغوية بمصطلح(الحجاج) و أصلت له كباقي المصطلحات الأخرى.

يعرفه" ابن منظور" بقوله: و الحجة: الدليل و البرهان، يقال: حاججته فأنا محاج و حجيج، فعيل بمعنى فاعل، و منه حديث معاوية: فجعلت أحج خصمي أغلبه بالحجة.

وقال الأزهري" الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة و هو رجل محجاج أي جدل، و حجه يحجه حجا: عليه على حجته و في الحديث" فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة."[31].

وجاء في القاموس المحيط " الحج" القصد و الكف، و القدوم و سبر الشجة بالمحجاج للمسبار، و الغلبة بالحجة المحجاج الجدل"[32].

---

[31] ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، ج3، مادة (ح ج ج) .

[32] الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ج1 مادة(ح ج ج).

كما وقف عنده الخليل بن أحمد الفراهيدي" وعرفه بقوله :الحجة: وجه الظفر عند الخصومة، و الفعل حاججته فحجته، احتججت عليه بكذا و جمع الحجة: حجج، و الحجاج المصدر".[33]

يلاحظ من خلال هذه التعاريف السابقة لكلمة حجاج بأنها تحمل عدة دلالات منها البرهان، الدليل، القصد، الكف، و الغلبة بالحجة و ما جعل هذه المفردات ترد بمعنى واحد أي: الحجة، الدليل، البرهان في القواميس العربية هو وجودها ضمن دائرة البيان و البلاغة الإقناعية.[34]

وعلى غرار المعاجم العربية فإن المعاجم الغربية كذلك قد أصلت لمصطلح الحجاج" ففي اللغة الفرنسية" نجد لفظة argumentation لا تختلف في الجوهر عن معناه في العربية، أما في اللغة الإنجليزية فنجد لفظة argument التي تشير إلى محاولة إقناع الآخر بوجهة نظر و ذلك بتقديم الأسباب أو العلل reasons التي تكون حجة مدعمة أو داحضة لفكرة أو رأي أو سلوك ما.[35]

2-1 اصطلاحا:

معظم التعاريف الاصطلاحية تذهب إلى أن الحجاج آلية يستعمل فيها المرسل اللغة و من خلالها يتجسد الإقناع باعتباره علاقة تخاطبية بين المتكلم و المستمع . و لذلك يعرف طه عبد الرحمن الحجاج على أنه" كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها[36] حيث أشار إلى فكرة مفادها أن الحجاج يهدف إلى

[33] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ج1، مادة(ح ج ج) ص: 287.
[34] حبيب أعراب: الحجاج، الاستدلال الحجاجي، ص: 109.
[35] المرجع نفسه، ص:99.
[36] طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص:220.

الإقناع، و يذهب إلى نفس هذه الفكرة عبد الهادي بن ظافر الشهري حيث عرف الحجاج بربطه بالإقناع فيقول:" الحجاج هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها و تتجسد عبرها إستراتيجية الإقناع [37] فالمرسل يرسل خطابه لأجل هدف معين و هو التأثير و الاستمالة و ذلك عن طريق الحجج اللغوية أو غير اللغوية.

كما عرف" عبد الله صولة الحجاج بقوله:" وجد للحجاج ثلاثة مفاهيم على الأقل: مفهوم يجعله مرادفا للجدل و نجده خاصة عند القدماء و بعض المحدثين العرب و مفهوم يجعله قاسما مشتركا بين الجدل و الخطابة خاصة و نجده عند اليونان، و مفهوم له في العصر الحديث في الغرب، قد أخذ شيئا فشيئا في الاستواء مبحثا فلسفيا و لغويا قائم الذات". [38]

و يرى "محمد نظيف" أنه: "يفترض وجود مستقبلين يبحثون كل مرة على عناصر إقناعية جديدة تتلاءم و كفايتهم الموسوعية و تفننهم بجدوى تتبع الحوار بما يهدف إليه من طرح مضامين جديدة غير مسبوقة"[39] فالحجاج أوسع من البرهان ذلك أن البرهان منحصر في قواعد معروفة فهو كآلة تعيد فقط هذه القواعد على عكس الحجاج الذي يتسم ببنيات واسعة و يتيح مقدمات كثيرة للحصول على نتائج كثيرة. كما أن الحجاج صيغة خطابية دالة على أن اللسان ليس مجموع رموز اجتماعية فحسب، كما ذهب إلى ذلك " دي سوسير"، بل إنه مجموعة اتفاقات تسمح بالفعل التواصلي المتبادل بين الأفراد المتخاطبين. [40]

---

[37] عبد الهادي بن ظافر الشهري:استراتيجيات الخطاب،مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ط1،2004م،ص:449.

[38] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية،منشورات كلية الآداب و الفنون و الإنسانيات، تونس منوبة، د ط، 2001م، ج1، ص:98.

[39] محمد نظيف: الحوار و خصائص التفاعل الحواري، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، ، إفريقيا الشرق د ط، 2010م ، ص: 77.

[40] جان سيرقوني :الملفوظية، ترجمة: قاسم المقداد، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق ،ط1، 1998، ص :113.

وجاء في المعجم الفلسفي أن الحجاج هو استدلال يرمي إلى برهان قضية معينة أو دحضها أو الاستدلال على صدق الدعوى أو كذبها و هي مرادفة للدليل.

قال "ابن سينا": جرت العادة بأن يسمى الشيء الموصل إلى التصديق حجة، فمنه قياس و منه استقراء و نحوهما. [41]

و نخلص من خلال هذه التعاريف أن الحجاج يختلف باختلاف مرجعيته الخطابية و خصوصيته التواصلية التي تغذي قنوات التحاور، و تعين حدود التلقي و تحدد أطر التخاطب و عليه فإن ظاهرة الحجاج نالت اهتماما كبيرا من قبل الدارسين و درسها كل باحث حسب وجهة نظره غير أن كل هذه الدراسات مكملة لبعضها البعض.

2- الدراسات العربية و الغربية للحجاج:

2-1- الحجاج في البلاغة العربية القديمة:

تعود جذور هذا البحث إلى الفترة اليونانية و نلمسه خاصة عند الفيلسوف "أرسطو" الذي تناول الكثير من الظواهر المرتبطة بالممارسات الحجاجية، من خلال بعض الكتب (كتاب الجدل، كتاب الخطابة، و كتاب السفسطة، و كتاب الشعر).

وعلى امتداد ما يقرب من القرن الخامس عشر(من حوالي القرن الثاني الميلادي و إلى حدود عصر النهضة كان اهتمام الباحثين منصرفا إلى دراسة الجوانب البلاغية و الأسلوبية دون ما الاستدلال بالحجاج و إنما اعتقادهم في هذه الفترة كان سائدا في أن النموذج المثالي للاستدلال هو القائم على مبادئ المنطق و أسس الرياضيات، غير أن هذا الركود للدرس الحجاجي في الفكر الغربي كان يوازيه ازدهار كبير في المجال العربي و

[41] جميل صليبا:المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د ط، 1976م، ج1، ص: 93.

بخاصة الديني فكان شيوع الأساليب الحجاجية بارزًا في المدارس الإسلامية حيث كانت استراتيجيه الإقناع بالحجاج واضحة في القرآن الكريم و أقوال الرسول- صلى الله عليه و سلم- .

ولأن الإسلام دين العقل والحق، فقد نبد أشد النبذ حجج الكافرين الذين كانوا يرفضون الحق ولا يقبلونه بحجة أنه لا يوافق ما وجدوا عليه آباءهم، قال تعالى: **[وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْــزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ] التوبة – 20-** و قوله تعالى أيضا:**[وَ تِلكَ حُجَّتُنَا آتينَاها إبراهِيمَ على قَومِه].** الأنعام – 83-

2-1-1- عند الجاحظ:

لقد كان الحجاج في الدرس البلاغي العربي القديم محط دراسة مختلف الباحثين، و المتصفح لأهم مصادر البلاغة القديمة يكتشف أن الهدف منها هو الإقناع، فالغاية الرئيسية للبلاغة العربية هي غاية حجاجية بالدرجة الأولى و الدليل على ذلك هو أن أغلب التعاريف التي أعطيت لها من قبل أهم البلاغيين القدامى جاء على هذا النحو، فنجد الجاحظ من خلال كتابه البيان و التبيين من الذين تناولوا إستراتيجية الإقناع؛ إذ فضل القول فيما يخص الخطيب من صفات جسدية و ملكات ذهنية" [42] كما أعطى مفاهيم للبلاغة و البيان، حيث ذكر الجاحظ أنه قد قال بعض أهل الهند إجماع البلاغة البصر بالحجة، و المعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، و إذا كان الإفصاح أوعر طريقة، و ربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك و أحق بالظفر" [43] كما حدد معنى البلاغة انطلاقا من استشهاده بما ورد في صحيفة،بشر بن المعتمر" حيث قال

[42] عبد الهادي الشهري:استراتيجيات الخطاب، ص: 448.
[43] الجاحظ: البيان والتبيين، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، د ط، ج1، ص:88.

أن" أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، و ذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح قليل اللفظ، متخير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة و لا الملوك بكلام السوقة"[44]. و تتجلى الوظيفة الإقناعية للبلاغة العربية كذلك لما أورد الجاحظ عن ابن المقفع أنه قال:" البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت، و منها ما يكون في الاستماع، و منها ما يكون في الإشارة، و منها ما يكون في الاحتجاج، و منها ما يكون جوابا، و منها ما يكون رسائل [45]، فهي بالتالي تلعب دور الإبلاغ المفهم و المؤثر غرضه الإقناع و هذا على حد قول" جميل عبد المجيد" هي إذن " الإبلاغ المفهم المؤثر إفهاما و تأثيرا من شأنهما تحقيق الإقناع و الاستمالة"[46].

أما البيان فقد عرفه بقوله:" اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، و هتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته و يهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان و من أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل و السامع، إنما هي الفهم و الإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع.[47]

فالبيان عند الجاحظ هو إذن بمثابة الأداة و الآلية التي تعمل على فك اللبس و الغموض و الكشف عن المعنى.

---

[44] الجاحظ: البيان و التبيين، تح: درويش جويدي ، ص: 65.
[45] المصدر نفسه، ص :115و 116.
[46] جميل عبد المجيد: البلاغة و الاتصال، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، د ط، 2000م، ص :129.
[47] الجاحظ: البيان و التبيين، ص:.76

2-1-2- عند السكاكي:

عرف السكاكي" البلاغة" بقوله: " هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها و إيراد أنواع التشبيه و المجاز و الكناية على وجهها و لها أعني البلاغة طرفان: أعلى و أسفل، متباينان تباينا لا يتراءى له ناراهما، و بينهما مراتب، تكاد تفوت الحصر، متفاوتة.

ويلاحظ تعدد و تنوع المقامات عند السكاكي؛ و يقول في هذا الشأن:" لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، و مقام التهنئة يباين مقام التعزية، و مقام المدح يباين مقام الذم، و مقام الترغيب يباين مقاب الترهيب، و مقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، و كذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، و مقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار؛ جميع ذلك معلوم لكل لبس، و كذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، و لكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الأخر، ثم إذا شرعت في الكلام، فلكل كلمة مع صاحبتها مقام، و لكل حد ينتهي إليه الكلام مقام و هو الذي نسميه مقتضى الحال[48].

والملاحظ أن السكاكي صنف المقامات بحسب الأحوال المتصلة بالمتكلم (كالتشكر، الشكاية، التهنئة، التعزية) و كذا الأحوال المتصلة بالمخاطب(بناء الكلام مع الذكي و مع الغبي و مع المنكر).

و منها ما يتعلق بالكلمة في حد ذاتها بحسب حالها مع الأخرى في السياق الذي ترد فيه.

[48] يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد ابن علي السكاكي: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط1 1987، ص: 415 و 416.

أما فيما يتعلق بالكلام فقد أشار إلى أن الحسن من الكلام هو المطابق لمقتضى الحال في قوله: " فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم، فحسن الكلام تجريده من مؤكدات الحكم، و إن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك، فحسن الكلام تحليته بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفا و قوة و إن كان مقتضى الحال في ذكر المسند إليه، فحسن الكلام تركه و إن كان المقتضى إثباته وجه من الوجوه المذكورة، فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب، و كذا إن كان المقتضى ترك المسند، فحسن الكلام وروده عاريا عن ذكره، و إن كان المقتضى إثباته مخصصا بشيء من التخصيصات، فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة من الاعتبارات المقدم ذكرها، و كذا إن كان المقتضى عند انتظام الجملة مع أخرى فصلها أو وصلها، و الإيجاز معها أو الإطناب، أعني طي جمل عن البين و لا طيها، فحسن الكلام تأليفه مطابقا لذلك.[49]

كما تطرق أيضا إلى الموضوعات المتعلقة بالجملة الخبرية و المتمثلة في :الإسناد الخبري و المسند إليه و المسند، و الفصل، و الوصل.

كما أشار أيضا إلى الإيجاز و الإطناب، و عرف الإيجاز بأنه" أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط، و الإطناب هو أداؤه بأكثر من عباراتهم، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو غير الجمل[50].

يتضح مما سبق ذكره أن الدراسة البلاغية العربية القديمة ركزت في دراستها للنظرية الحجاجية على المقام لما له من أثر واضح على المخاطب و كل ما يحيط به من ظروف خارجية كما أشارت إلى ملامح الحجاج و أدواته البلاغية.

[49] السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 169.
[50] المصدر نفسه، ص : 377.

2-2- الحجاج كمفهوم لساني غربي حديث:

إذا كان فريق من البلاغيين المحدثين قد أنكروا مذهب السكاكي و خالفوه، مما سموه جمودا و تعقيدا و جفافا و خضوعا للمنطق و الفلسفة و علم الكلام، و انتقدوا ثلاثية السكاكي، جاهدين لإثبات بطلانها، و مطالبين بإقامة البلاغة على أساس ذوقي جمالي بعيد عن القواعد الجامدة الجافة، فقد كان ذلك قصارهم و مبلغ علمهم.[51]

وإذا كانت البلاغة القديمة – اليونانية و العربية- قد تناولت قضية الحجاج، إلا أنها لم تتناول أبعادها كلها، أي أن تناول قضية الحجاج قد دار في إطار الخطاب الشفوي المباشر من جهة، ثم المساعدات المقامية الشكلية من جهة ثانية.

أما الحجاج في الدرس البلاغي المعاصر فقد برز الاهتمام به من خلال الحقلين النقدي و اللساني خاصة و الإنساني عامة، و في مجالي المشافهة و الكتابة.

وظهر مصطلح البلاغة الجديدة سنة 1958م في عنوان أحد الكتب الشهيرة التي ألفها المفكر البولوني المولد، البلجيلي المقام" بيرلمان " perelman تحت اسم" **مقال في البرهان؛البلاغة الجديدة**" و يعتمد هذا الكتاب على محاولة لإعادة تأسيس البرهان، أو المحاجة الاستدلالية، باعتباره تحديدا منطقيا بالمفهوم الواسع كتقنية خاصة و متميزة لدراسة المنطق التشريعي و القضائي على وجه التحديد، و امتداداته إلى بقية مجالات الخطاب المعاصر".[52]

ويذكر "هنريش بليت" أن سبب هذه النهضة البلاغية يرجع، في مجال التنظير، إلى الأهمية المتزايدة للسانيات التداولية، و نظريات التواصل و السيميائيات و النقد

---

[51] سعد عبد العزيز مصلوح: في البلاغة العربية و الأسلوبيات اللسانية، الكويت، ط1 ،2003 م ،ص: 38.

[52] صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، دار فوربار القاهرة، ط1، 2000، ص:.90.

الأيديولوجي، و كذا الشعرية اللسانية في مجال وصف الخصائص الإقناعية للنصوص، و تقويمها.[53]

واختلفت نظرية الحجاج من حيث المعالجة فهناك من عالجه من رؤية فلسفية ومن أهم أقطابها" بيرلمان" وهناك من عالجه من رؤية لسانية (تداولية) من أهم أقطابها (ديكرو) .

2-2-1- الحجاج عند (بيرلمان) و زميله:

ولئن لم يكن الحجاج في بداية الأمر الباعث على تجديد الدرس البلاغي، إلا أن البلاغيين المحدثين جعلوه عمدة دراساتهم بعد أن تبين لهم كونه محور الآلة البلاغية.

حيث اتسع مجال الخطابة باعتبارها فن الإقناع من خلال الخطاب و مما ينبغي الوقوف عنده أن الخطابة الجديدة هي إحياء للقديمة أو بعثا لها في ثوب جديد، باعتبار كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه و لأن البنية العقلية، و كذا اللغوية، التي تتأسس عليهما مختلف الخطابات، تهدفان إما إلى إقناع مبدعيهما أو المعنيين بهما أو هما معا يفهم من هذا أن الخطابة هي ضرب من الإحياء مع التطوير و لاسيما بعد ظهور الكتاب المعنون بـــ مصنف في الحجاج لمؤلفيه " بيرلمان" و "ألبرت تيتيكاه": الخطابة الجديدة **the new rhétoric** لـــ: "بيرلمان" ألفه سنة 1958 مع زميله "تيتيكاه" بعنوان(دراسة الحجاج: **traité de l’argumentation** الذي درس فيه التقنيات التي من شأنها أن

---

[53] هنريش بليت: البلاغة و الأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تح العمري محمد، إفريقيا الشرق، لبنان، المغرب، 1999م، ص: 22.

تؤدي بالأذهان إلى التسليم بالموضوعات المعروضة عليها، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم[54] باعتبار أن النظرية الحجاجية أساسها الإقناع.

عرف "بيرلمان" الحجاج بأنه:" جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الإقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع [55] معتبرا أن غاية الحجاج الأساسية هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهيئه للقيام بهذا العمل.

فالحجاج يأخذ من الجدل التمشي الفكري الذي يقود إلى التأثير الذهني في المتلقي و إذعانه إذعانا نظريا مجردا لفحوى الخطاب وما جاء فيه من آراء ومواقف. أما غاية كل حجاج حسب "بيرلمان" و"تيتيكاه" فهي أن تجعل العقول تسلم بما يطرح عليها من أفكار أو تزيد في حجم ذلك التسليم ،فأقوى حجاج ما وفق في جعل شدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين".[56]

ويفهم من هذا الكلام، أن إذعان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسل أو العمل على زيادة الإذعان، الذي هو الغاية من كل حجاج، فأقوى حجة عليه، هي تلك التي تنجح في تقوية حدة الإذعان عند من يسمعها.

2-2-2- الحجاج عند "ميشال مايير": michel meyer : الذي تطرق بدوره إلى النظرية الحجاجية التي تتمثل في إثارة الأسئلة، وهذا عنده هو الأساس الذي يبنى عليه

[54] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر و التوزيع ط1 2009م، ص: 106.
[55] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته و أساليبه، جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن ط1، 2008م، ص: 21.
[56] سعيد فاهم: معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم و سياقاتها المختلفة- دراسة دلالية معجمية- مذكرة لنيل درجة الماجيستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، قسم اللغة و الأدب العربي، 2011، ص: 17.

الخطاب. حيث ربط الحجاج بنظرية المساءلة" فما الحجة عنده إلا جواب عن وجهة نظر يجاب بها عن سؤال مقدر يستنتجه المتلقي ضمنيا من خلال الجواب".[57]

إلا أنه اشترط في السؤال الحجاجي أن يكون: حاملا لأطرافه يكون بحث المخاطب عن دلالتها مصدر متعة له من جهة و تأييدا منه لمضمون الفرضيات المقدمة من جهة أخرى[58]، فالحجة عنده إذن تكون إما إجابة عن سؤال أو إبداء وجهة نظر حول قضية ما سواء بالتأييد أو المعارضة.

وعرف الحجاج بأنه:" دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام و ضمنيه[59] و هو بهذا التعريف يقسم الكلام إلى قسمين صريح و ضمني فالصريح هو الجزء المصرح به من طرف المتكلم، أما الضمني فهو الجزء الذي يستنتجه السامع من هذا الكلام.

حيث يرى "ميشال" من خلال نظرية المساءلة، أن طبيعة الكلام المبنية على السؤال و الجواب هي المنتجة للحجاج- ذلك أن السؤال و الجواب يولدان النقاش و التفاوض بين المتحاورين و الذي بدوره يمثل الحجاج، و لأجل هذا، يعطي "مايير" أهمية قصوى لنظريته التساؤلية لما لها من آثار حجاجية، لأنه بالنسبة إليه كل كلامنا قائم على التساؤل الذي ينتهي في الأخير بعملية الاستنتاج.

وبالإضافة إلى اهتمام "ميشال" بنظرية المساءلة، فإنه يتفق أيضا مع أستاذه" بيرلمان" حول أهمية الصور البلاغية في الحجاج إذ أن "مايير" يعترف بالدور الفعال الذي تلعبه البلاغة في الحجاج و خاصة المجاز، إلى درجة أنه يعتبر كل بلاغة حجاجا و بالعكس

---

[57] سعيد فاهم: معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم و سياقاتها المختلفة- دراسة دلالية معجمية، ص: .19

[58] محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة بنغازي، ليبيا، ط1، 2008، ص: .135

[59] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص :37.

أي أنه– بعبارة أخرى– يطابق بين المفهومين إذ هما – الحجاج و البلاغة– يهدفان في نظره إلى تضييق شقة الخلاف بين المحاورين و المتخاطبين أو إلغائهما.[60]

فبالنسبة إلى "مايير" الصور المجازية تعتبر مكونا أساسيا في إقناع المتلقي و بالتالي تقريب المسافة بينه و بين المتكلم.

وإلى جانب أهمية الصور البلاغية في الحجاج، يرى "ميار" أن هذه الأخيرة تخضع بدورها لنظريته في المساءلة، ذلك لأن الصورة البلاغية إذا ما طرحت في الخطاب فذاك يعني أن سؤالا طرح فيه، و السؤال يستدعي بالضرورة جوابا، يستفهم السامع ويدعوه إلى الإجابة عن السؤال المطروح، ولعل هذه الأسئلة التي تطرح في كل مرة سببها راجع إلى العلاقة غير الطبيعية التي تجمع بين أطراف هذه الصور، فالصورة البلاغية في مظهرها الأول تظهر غامضة و غريبة لكن بعد أن يتساءل المستمع عن العلاقة القائمة بين طرفي الصورة، فإنه سيجد الجواب المقنع و هكذا يؤسس "مايير" تصوره للبلاغة و الحجاج على هذه المعطيات الفلسفية، اللغوية فعلى الرغم من تنبيه معظم آراء أستاذه (بيرلمان) ،ذلك الجانب المعرفي الفلسفي خاصة إلا أنه في الوقت ذاته، ربط بين الحجاج المعاصر بالقضايا التي تثيرها الفلسفة.

وعن ما تميز به "مايير" عن أستاذه "بيرلمان" أنه عالج الحجاج في الحقل الفلسفي الإبستيمولوجي.

واعتمادا على ما سبق، نلاحظ أن الحجاج عند "مايير" ثلاثة أركان و هي أولا: المساءلة، ثانيا: الكلام أو اللغة، ثالثا: البلاغة و هذه النظرة وليدة انفتاح تصورات "مايير"

---

[60] سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص .:136.

على الفلسفة و اللغة و ما تميز به أن كل آرائه جاءت مغلقة في إطار فلسفي إبستيمولوجي الذي كان الغالب على منهجه.

2-2-3- الحجاج عند تولمين:

" اتضح مفهوم الحجاج عند" س- إ- تولمين **Stephen E Delson Toulmin** " من خلال بحثه المقدم سنة: 1958م بعنوان: **« les usage de l'argumentation »** الذي يهدف إلى دراسة الأدوات الحجاجية في الإستخدام العادي للغة.[61]

وقد ترجم" عبد الله صوله" هذا المفهوم من خلال الرسوم الحجاجية التالية:

الرسم الأول: و فيه تجد الرسم الحجاجي ذو ثلاثة أركان أساسية هي: " المعطى(م) **« donné »** النتيجة(ن)**« Conclusion »** الضمان(ض)**« la garante »** و يصاغ نظريا على النحو التالي:

م ⟵ إذن: ن

نظرا إلى أن: ض

مثال:

م(علي تونسي) ⟵ إذن ن(هو ليس شيعيا)

نظرا إلى أن:

(ض) (أغلبية التونسيين المطلقة ليسوا شيعة)

[61] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص :108.

الرسم الثاني: و هو تدقيق للرسم السابق بأن أضيف إليه عنصران هما: " **عنصر الموجة**"« **le qualificateur modal** » و نصطلح عليه ب(ج)، و **عنصر الإستثناء**(س) الذي يمثل شروط القضية، فأصبح كالتالي:

م ← إذن: ج، ن

نظرا إلى أن ← اللهم إلا إذا

ض   س

مثال:

م(علي تونسي) ← إذن: ج(من شبه المؤكد) ن(أنه ليس شيعيا)

نظرا إلى أن   اللهم إلا إذا

ض(أغلبية التونسيين المطلقة ليسوا شيعة)   س(تشيع أثناء دراسته بجامعات إيران)

الرسم الثالث: و فيه مزيد تدقيق بإدخال عنصر الأساس(أ) الذي يبنى عليه الضمان (ض) فيكون الرسم كالتالي:

م ← إذن: ج، ن

نظرا إلى أن: اللهم إلا إذا

ض   س

بحكم أن: أ

مثال: م(علي تونسي) ← إذن: ج(من شبه المؤكد)

ن(أنه ليس شيعيا) اللهم إلا إذا:

ض(أغلب التونسيين ليسو شيعة) س(تشيع أثناء دراسته بجامعات إيران)

بحكم أن: أ (نسبة الشيعة لا تكاد تذكر في تونس)

<< قد تكون أقل 1% و هو إحصاء تقريبي[62]>>.

وفق هذه الرسوم قدم لنا "تولمين" مفهومه للحجاج، وقد تفطن "عبد الله صولة" لغياب ركن الجمهور في رسوم "تولمين" المعروضة"[63] رغم أنه من أهم عناصر الحجاج وضروري لنجاح العملية الحجاجية.

وقد علق "عبد الله صولة" في أطروحته على "تولمين" ومناوليه بقوله "والحق أننا غير مطمئنين إلى نظرية تولمين الحجاجية هذه اطمئنانا كاملا لأسباب أهمها أن أركان "تولمين" الأساسية الثلاثة أي (م، ن، ض) يذكرنا عددها ونهج الاستدلال المتوخى فيها بنهج الاستدلال الأرسطي في بناء الأقيسة المنطقية وإنما هو أقرب إلى صناعة البرهان في المنطلق حيث يقصد بالبرهان إثبات الحق لا لإقناع الغير به في العادة وإنما لإقناع المرء نفسه[64].

2-2-4- الحجاج عند ديكرو وزميله :

[62] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص :22 و 26 .
[63] المرجع نفسه ، ص:.26
[64] المرجع نفسه، ص:29 و.30

ساهم كل من "أزفالد ديكرو **Osvald Ducrot** "و"أنسكومبر **J-C Anscombire**" في تطوير النظرية الحجاجية انطلاقا من فكرة مؤداها "أننا نتكلم عامة بقصد التأثير".[65]

ويؤكد كلا من "ديكرو" و"أنسكومبر" أن الحجاج يكمن داخل اللغة دون سواها، ذلك أن الحجاج باللغة يجعل الأقوال تتابع وتترابط على نحو دقيق وأن المتكلم يجعل قولا ما حجة إذا أقنع بها المتلقي ،ذلك على نحو صريح أو بشكل ضمني ، وحسب "ديكرو" أن المتكلم قد يصرح بالنتيجة أو يخفيها ،فيستلزم على المتلقي استنتاجها من بنيتها اللغوية كما حصر الباحثان درس الحجاج في نطاق دراسة اللغة ،لا في البحث عما هو واقع خارجها لأن وظيفة الحجاج عندهما تكمن في التوجيه (l'orientation).

كما اعتمد كلا من "ديكرو" و"أنسكومبر" على بعض النظريات التداولية منها "نظرية الأفعال الكلامية لمؤسسها الفيلسوف الإنجليزي "أوستين"، **J-L Austin** حيث اتضح مفهوم الحجاج وآلياته عندهما من خلال كتابهما : "الحجاج في اللغة **« argument « dans la langue** الذي أصدره سنة : 1973 ، وكغيرهما من الدارسين للنظرية الحجاجية ، فقد رأى كل منهما أن الغاية من الحجاح هي التأثير والإقناع بحيث تنقل اللغة من التلقي إلى الفعل هذا حسب نظرية الأفعال الكلامية التي يرى مؤسسها "أوستين "أن وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار، إنما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صيغة اجتماعية.[66]

---

[65] حافظ إسماعيل علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة عالم الكتب الحديث بريد الأردن، د ط، 2010م، ج4، ص: 193.

[66] عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي، في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، وحدة الدعاية الجزائر ط2003،1م ، ص: 155.

وإذا كان الحجاج في معناه العام" هو مجموعة الخطط الخطابية المستعملة من قبل المخاطب لأجل إقناع الجمهور، فإن الحجاج عند"ديكرو" و" انسكومبر"، كامن في بنية اللغة ذاتها حيث إن المتكلم إذ يحاج إنما يقدم قولا أولا(ق 1) أو مجموعة أقوال تقود إلى الإذعان و التسليم بقول آخر (ق 2) أو مجموعة أقوال أخرى فهو إنجاز لعملين هما عمل التصريح بالحجة من ناحية، و عمل الاستنتاج من ناحية أخرى سواء كانت النتيجة مصرحا بها أو مفهومة من (ق1).[67]

فالقول (ق 1) هو الحجة التي يصرح بها المتكلم، أما(ق 2) فهي التي يستنتجها المستمع، و هذه النتيجة تكون إما مصرحا بها أو ضمنية.

ففعل التصريح يكون بمجرد الإفصاح عن الحجة، أما فعل الاستنتاج فــ" ليس الفعل النفسي الذي يكمن في تأسيس اعتقاد حول بعض الإشارات و لكنه فعل كلامي يستلزم تحقيقه إنتاج الكلام نقول عن المتكلم أنه يقوم بفعل استنتاجي حينما يتلفظ بقول ما.

وفي نفس الوقت يرجع إلى معطى معين يقدمه على أساس أنه نقطة انطلاق لاستدلال سيؤدي إلى إصدار القول". [68]

إذ يميز "ديكرو" بين المتكلم و المتلفظ، فتوصل بأبحاثه إلى مفهوم " المتلفظ متعدد الأصوات، لحل مشكلة تحليل بعض الأقوال، التي لا تعرف بالضبط لمن تنسب فيها الكلام، هل لمتكلم واحد أم لأكثر من متكلم" [69] و باتساع مجال الأفعال الإنجازية التي تنتمي إلى علم الدلالة اللسانية يوسع" ديكرو" حقل التداولية المندمجة حيث تتمحور نظرية "ديكرو" و "أنسكومبر" على رفض الرأي القائل بأن هناك فصلا بين الدلالة و التداولية

[67] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص: 33.
[68] عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي، في ضوء النظرية التداولية ،ص:122.
[69] حبيب أعراب: الحجاج و الاستدلال الحجاجي، ص :103 و104.

ذلك أن مجال البحث عندهما هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة، و يكون موضوع البحث هو بيان الدلالة التداولية(لا الخبرية الوصفية) المسجلة في أبنية اللغة و توضيح شروط استعمالها الممكن.

ذهب "ديكرو" كذلك إلى أن اللغة تدرس بالمكون اللغوي(اللساني) الذي يخصها بالدلالة، ثم تعالج هاته الدلالة بالمكون البلاغي الذي يخصها بمعنى، هو معنى الملفوظ.[70]

ولهذا يجب معرفة قوانين الخطاب أو مبادئ الخطاب التي وضعها "جرايس" **H.P. GRICE** و حددها في أربعة مبادئ[71] و هي:

– **مبدأ الكم:** اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه.

– **مبدأ الكيف:** لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح، و لا تقل ما ليس عندك دليل عليه.

– **مبدأ المناسبة:** يضطر المتكلم في حكم المناسبة أن يجعل كلامه مناسبا لموضوع الخطاب.

– **مبدأ الطريقة:** كن واضحا و محددا، فتجنب الغموض، و تجنب اللبس، و أوجز و رتب كلامك.

فإذا راعى المحاجج هذه القوانين فإن خطابه سيحقق الوظيفة الحجاجية حيث تساهم هذه المبادئ في أن تحدد معالم الدلالات كما تحقق مبادئ الخطاب أيضا التعاون بين المتكلم و المخاطب، للوصول إلى الحوار المثمر، أي (المستوى الحواري).

[70] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص: 111.
[71] محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002م، ص :.34

كما اهتم "ديكرو" و زميله أيضا ضمن دراستهما للنظرية الحجاجية بما يعرف بــ: " **مراتب الحجاج**" .

فقد تحدث عنها" ديكرو" في مقالتيه" مراتب الحجاج" و" العوامل الحجاجية و القصد الحجاجي" و نجد " أنسكو مبر" في مقالته" حتى ملك فرنسا أصلع" [72] و قد اتخذت هذه المراتب عندهما ثلاثة أشكال وهي:

المراتب المتضادة: فقد تكون الألفاظ دالة على معان يمكن ترتيبها بين طرفين متباينين.

المراتب الموجهة توجيها كميا: يوجد هذا الضرب من المراتب في الألفاظ الدالة على معان تقبل التدرج في اتجاه واحد إما على مقتضى التزايد أو على مقتضى التناقص.

المراتب الموجهة توجيها قصديا: قد تدخل المراتب، لا على الألفاظ وحدها بل كذلك على الجمل، فيكون قصد المتكلم عاملا في تحديد اتجاه المراتب التي تنزلها هذه الجمل.

وبالتالي المراتب عند "ديكرو" و" أنسكومبر" لا تختص بالألفاظ فقط بل تدخل كذلك على الجمل و قد تراوحت المراتب السالفة الذكر بين(عليا و سفلى)،(متزايدة و متناقصة) و أخرى (متفاوتة فيما بينها)، و تشكل العلاقة بين هذه المراتب ما يسمى بالسلم الحجاجي.

3- التقنيات الحجاجية: Les techniques argimentatives

تعددت التقنيات الحجاجية بتعدد دارسي الحجاج، فقد حصر " بيرلمان " و زميله في كتابهما "مصنف في الحجاج" التقنيات الحجاجية في نوعين: نوع يقوم على طرائق

[72] طه عبد الرحمان: اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص: 247.

الوصل **procèdes de liaisons**، والنوع الثاني يقوم على طرائق الفصل **procédés de dissociations .**

النوع الأول يقصد به الآليات التي تقرب بين العناصر المتباينة و تمكن من إقامة روابط علاقية بينها كي يمكن دمجها في بنية حجاجية متماسكة و موحدة.

أما النوع الثاني فعبارة عن التقنيات التي تستخدم بهدف تفكيك اللحمة الموجودة بين عناصر تشكل كلا لا يتجزأ، و غالبا ما تستخدم هذه التقنيات في تفكيك الأبنية الحجاجية التي يخشى المتكلم على نجاح حجاجه منها. [73]

وليست هذه الأدوات هي الحجج بعينها، وإنما هده الأدوات هي عبارة عن قوالب تنظم العلاقات بين الحجج والنتائج، أو لإعانة المرسل على تقديم حججه في الهيكل الذي يناسب السياق.

ويمكن تقسيم تقنيات الحجاج إلى:

الأدوات اللغوية الصرفة، مثل، ألفاظ التعليل، بما فيها الوصل السببي، والتركيب الشرطي. وكذلك الأفعال اللغوية، والحجاج بالتبادل، والوصف وتحصيل الحاصل.

الآليات شبه المنطقية، ويجسدها السلم الحجاجي بأدواته وآلياته اللغوية. ويتدرج ضمنه كثير منها، مثل الروابط الحجاجية: (لكن، حتى، فضلا عن ، ليس كذا فحسب، أدوات التوكيد) ، ودرجات التوكيد، والإحصاْءات، وبعض الآليات التي منها الصيغ الصرفية، مثل التعدية بأفعل التفضيل والقياس وصيغ المبالغة". [74]

[73] محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 127.
[74] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص:.477

3-1- الأدوات اللغوية:

3-1-1- ألفاظ التعليل:

تعد ألفاظ التعليل من الأدوات اللغوية التي يستعملها المرسل لتركيب خطابه الحجاجي، وبناء حججه فيه، ومنها: المفعول لأجله، وكلمة السبب، إذ لا يستعمل المرسل أي أداة من هذه الأدوات، إلا تبريرا أو تعليلا لفعله، بناء على سؤال ملفوظ به أو مفترض.[75]

أ. **المفعول لأجله** : وهو الاسم المبين لسبب وقوع الفعل، وحكمه النصب وعلامته: وقوعه في جواب لماذا فعلت ذلك؟[76]

مثال: يجب التعاون بين أعضاء الفريق، لتحقيق الفوز.

فالمرسل يريد أن يقنع أعضاء الفريق، بضرورة التعاون، وأورد حجته التي تبرر دعوته وهي: (تحقيق الفوز).

ب/ كلمة السبب:

ج/لأن:تعد من أهم ألفاظ التعليل.وتستعمل لتبرير الفعل، كما تستعمل لتبرير عدمه[77]

مثال: تزوجت الفتاة لأنها غنية؟ ولأنني فقير.

د/ كي الناصبة للفعل المضارع:

مثال: أَدَّيتُ الحَجَّ كي أُرضيَ ربي.

[75] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص :.478

[76] جود هشام تاج الدين: الممتاز في معجم النحو والإعراب، دار بغدادي للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 2007م، ص:91.

[77] عبد الهادي بن ظافر الشهري: المرجع السابق، ص: 478.

هـ/ اللام:

هـ-1- لام كي: مثل: أشغل نفسي بالمطالعة، لكي لا أشعر بالملل.

هـ-2- لام التعليل: مثل: قرأت الكتاب لأستفيد بمعلوماته القيمة.

هـ-3- اللام الناصبة للفعل المضارع مثل: يتوجه المسلمون إلى مكة المكرمة كل عام ليؤذوا فريضة الحج.

هـ-4- اللام الجارة: مثل: فرح المسافر لعودته إلى موطنه.

و- الوصل السببي: وهو "أن يعمد المرسل إلى الربط بين أحداث متتابعة، مثل الربط بما يمكن أن يكون المقدمة والنتيجة، فتصبح النتيجة مقدمة لنتيجة أخرى"[78].

مثال: صلاح الأم يؤدي إلى صلاح العائلة، وصلاح العائلة يؤدي إلى صلاح المجتمع.

سهل المرسل عملية إقناع المتلقي وذلك من خلال الانتقال من مقدمة حجاجية إلى النتيجة الكلية مباشرة، و مهد لصلاح العائلة بصلاح الأم، ومهد لصلاح المجتمع بصلاح العائلة وذلك حتى يقنع المتلقي بأن صلاح المجتمع من صلاح الأم.

ي- التركيب الشرطي: ويتضح من خلال العلاقة المنطقية المتلازمة بين طرفين.

3-1-2- الأفعال اللغوية:

أ/ الإستفهام: ويعرف بأنه: "بنية طلبية تقدم صيغته (استفعال) مؤشرا على دلالة الوضعية في طلب الفهم) بأدوات مخصوصة، فيخرج بذلك مثل قولنا (أستفهم

[78] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب ، ص: 480.

عن كذا) أو (فهمني كذا)" [79] ويعد الإستفهام من أنجع أنواع الأفعال اللغوية حجاجا، وهو ما يتوسل به الكثير في فعلهم"[80] .

ب/ النفي:

مثال: قوله تعالى: **[....الله الصمد لم يلد ولم يولد....]**

فكل قول منفي يمثل حجة لإقناع المتلقي بأن عز وجل لم يلد ولم يولد وهو واحد أحد.

3-1-3- الحجاج بالتبادل: يحاول المرسل بهذه الآلية أن يصف الحال نفسه في وضعين ينتميان إلى سياقين متقابلين، وذلك ببلورة علاقات متشابهة بين السياقات، كما يمكن أن تكون الحجج نقلا لوجهة النظر بين المرسل والمرسل إليه [81]

مثل: عامل الناس كما تحب أن يعاملوك.

3-1-4- الوصف:

أ/ **الصفة:** تعد الصفة من الأدوات التي تمثل حجة للمرسل في خطابه، وذلك بإطلاقه لنعت معين في سبيل إقناع المرسل إليه.[82]

مثال: توفي المريض نتيجة لانتشار مرضه في كل جسمه.

ب/ اسم الفاعل: وهو ما اشتق من فعل لمن قام به على معنى الحدوث ويصاغ من الثلاثي بصيغة فاعل: ضرب، ضارب.

---

[79] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر، لنجمان،ط1 ، 1997م ص: 284و.285

[80] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص: 483.

[81] المرجع نفسه، ص:486.

[82] المرجع نفسه، ص: 486.

ويعتبر اسم الفاعل من نماذج الوصف التي يدرجها المرسل في خطابه بوصفها حجة لأجل اصدار الحكم الدي يريده لتنبني عليه النتيجة التي يرومها.

ج/ اسم المفعول: يدل على وصف المفعول بالحدث على سبيل الإقناع والتجدد إذ يشتق للدلالة على من وقع عليه الفعل.[83]

3-1-3- تحصيل الحاصل: هناك من يعد بعض الخطابات مجرد حشو أو تحصيل حاصل لا تقدم شيئا في الخطاب، والحق أن كل جزء من الخطاب يضطلع بدلالته الحجاجية.

ويمثل هذا الضرب بعض التنوعات الحجاجية والصور الخطابية، فمن التنوعات الحجاجية التي تمثل هذا الضرب الخطابي:

أ/ التمثيل: ويتجسد من خلال تعدد التعاريف رغم وحدة المعرف"[84]

مثال: القرآن الكريم من تعاريفه:

- أنه كلام الله.

- أنه الكلام الذي أنزل على سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- عن طريق جحاث جبريل عليه السلام.

- أنه رسالة الله عز وجل بعباده.

[83] محسن محمد قطب معالي: المشتقات ودلالاتها في اللغة العربية، دراسة تطبيقية في القرآن الكريم، مؤسسة حورس الدولية الإسكندرية، د ط،2009، ص:34.

[84] عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب، ص: 489 و 490.

ب/ تكثير الذات بأوصاف مختلفة رغم وحدتها:

مثال: الرسول- صلى الله عليه وسلم- من أنبل وأشرف وأصدق عباد الله فالذات الموصوفة واحدة: الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلا أن صفاته تعددت.

"ومن ضروب تحصيل الحاصل أن المرسل قد يحيل ذهن المرسل إليه إلى السمات اللازمة للدال والمعروفة عنده، دون أن يصرح بها، لأن المرسل إليه يدرك حجة المرسل ولا يقتصر التحصيل على نفس السمات فحسب، بل يتجاوز إلى توظيفها في السياق الذي يشير إليه".[85]

مثال: التدخين كما تعلمون- مضر بالصحة.

حيث لمح المرسل لآثار التدخين على الإنسان والمجتمع بأنه: يضر بالصحة، يتلف الأموال..، وهي حجج تدعم رأيه بأن التدخين مضر.

ج/ ما يعد حشوا من وجهة النظر الدلالية، و ضروري من الناحية الحجاجية:

مثال: خرق قوانين المرور ممنوع و غير مسموح به.

فالمرسل هنا أكد الحجة الأولى بحجة و هي تكرار الحكم بلفظين رغم وحدة الدلالة، و ذلك ليقنع المرسل بالحكم(حتمية احترام قوانين المرور).

د/ الإحالة بما هو مبهم في أداته اللغوية:

" إذ يحيل إلى مجهول باستعمال إحدى أدوات الإبهام و هي الاسم الموصول(ما) التي سوغت تكرار كلمتين جدرهما و وزنهما واحد هما(عقلت ما عقلت)

[85] عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، ص :490 و 491.

فالحجاج يكمن هنا بما ينطوي عليه الخطاب من أمر هام، لم يرد أن يفصح به، ليكون عدم الإفصاح أقوى حجة من الإفصاح".[86]

ه/ اسم مبهم ينتمي إلى صنف الإشاريات بضمير الغائب هو:

مثال: الكاذب هو الكاذب.

فيفهم المرسل إليه اللفظ الأول على أنه وصف للشخص في حين يفهم اللفظ الثاني لوصف فعله، و هناك من يفهم اللفظ الأول على أنه حقيقة كما هو الحال في وضع اللغة، أما اللفظ الثاني فيفهمه على أنه مجاز.[87]

و/ التلفظ بلفظ واحد:

مثال: هذه أمك.

إذا اكتفى المرسل في هذا اللفظ بتذكير العاق لأمه بمكانتها.

ي/ تكرار العبارة نفسها:

" و يحدث هذا في النقاشات لإثارة الإستغراب و هو تكرر لا يندرج في باب التكرار اللفظي، أو الترف الكلامي، بل هو تكرار يقوي حجته في كل مرة يتلفظ بها، و ذلك بالرغم من أن الألفاظ هي هي لم تتغير".[88]

مثال: أعزائي الحضور، أساتذتي الكرام، أساتذتي الكرام، أتوجه بالشكر الجزيل لكل من مد لي يد العون لأحقق النجاح.

---

86 عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب ، ص: 492.
87 المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.
88 المرجع نفسه ، ص: .492

3-2- الطرائق البلاغية وآلياتها:

3-2-1- تقسيم الكل إلى أجزائه:

مثال: عان المحتل إثر تعرضه لاعتقالات و القتل و الاغتيالات و كذلك التدمير و تجريف الأراضي الزراعية

فهذه حجج متفرقة تدل بمجموعها على معاناة المحتل، حيث ذكر المرسل الحجة الكلية ثم عدد أجزائها، و ذلك ليزيدها قوة حجاجية.

3-2-2- الاستعارة: و هي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له و قد تقيد بالتحقيقية، لتحقق معناها حسا أو عقلا، أي التي تتناول أمرا معلوما يمكن أن ينص عليه و يشار إليه إشارة حسية أو عقلية، فيقال" إن اللفظ نقل من مسماه الأصلي. فجعل اسما له على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه. أما الحسي فكقولك: "رأيت أسدا " و أنت تريد رجلا شجاعا.[89]

مثال: قول زهير.

لدى أسد شاكي السلاح مقدف.

فهذا البيت يدل وضعه الحقيقي على أن الأسد يتصف بالشجاعة و القوة و لكنه لم يستعمله في هذا المعنى بل استعمله ليعبر به عن الرجل الشجاع(لدى رجل شجاع.)

---

[89] الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني و البيان و البديع: ص: 285.

3-2-3- التمثيل:

وإلى جانب الاستعارة نجد التشبيه(التمثيل) الذي يسهم أيضا في الإقناع" لكن كفاءته في التأثير أدنى من الاستعارة غالبا".[90]

" وهو عقد الصلة بين صورتين، ليتمكن المرسل من الاحتجاج و بيان حججه".[91]

ولقد أقر عبد القاهر الجرجاني بالدور الحجاجي للتمثيل في قوله "و أعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، و كسيها منقبة و رفع من أقدارها،و يبرئ العليل و يشفي الغليل".[92]

مثال: قوله تعالى:**[وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون]**

_الصافات_48_

حيث عمد الله عز وجل إلى إقناع عباده بجمال تلك النساء اللائي هن من خيرات الجنة و نعيمها. كأنهن بيض مصون.

3-2-4- البديع:

" كلمة بديع تطلق على كل ما فيه طرافة و جمال و لعله رأى فيها ابن المعتز – نوعا من الحسن لم يره في غيرها.

---

[90] صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص، ص :.146

[91] أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، في المعاني و البيان و البديع، تد حسن نجار محمد، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا القاهرة،ط2، 2005، ص :.387

[92] عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تد محمد عبد المنعم خفاجي و د محمد عزيز شرف، دار الجيل، بيروت، 1411ه-1991م، ص: 118 و .119

إن يسمى ما شاء من المحاسن بديعا و من البديع محاسن".[93]

و هو كذلك" علم يعرف به الوجوه، و المزايا التي تزيد الكلام حسنا و طلاوة، و تكسوه بهاء و رونقا بعد مطابقته لمقتضى الحال، و وضوح دلالته على المراد".[94]

أ/ **الطباق:** هو الجمع بين المتضادين و المقصود بالتضاد مجرد التقابل في الجملة.[95]

ب/ **المقابلة:**" هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب".[96]

3-3-السلم الحجاجي:

هو علاقة ترتيبية للحجج، فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية علاقة ترتيبية معينة، فإن هذه الحجج تنتمي إلى نفس السلم الحجاجي، و هو" مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية و موفية بالشرطين التاليين:

أ/ كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب/ كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه".[97]

---

[93] محمد عبد المنعم خفاجي، محمد السعدي فرهود، عبد العزيز شرف: الأسلوبية و البيان العربي، الدار المصرية اللبنانية،ط1، 1412ه- 1992م، ص: 111.

[94] محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، ص: 355.

[95] أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 293.

[96] المرجع نفسه، ص:.293

[97] طه عبد الرحمن: في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب 2007 م، ط3م، ص: 105.

مثال: زيد أذكى زملائه، فقد نجح في البكالوريا بإمتياز و نال ميدالية التقدير من الدرجة الأولى، و نال جائزة رئيس الجمهورية.

و يمكن تمثيلها في السلم الحجاجي كما يلي:

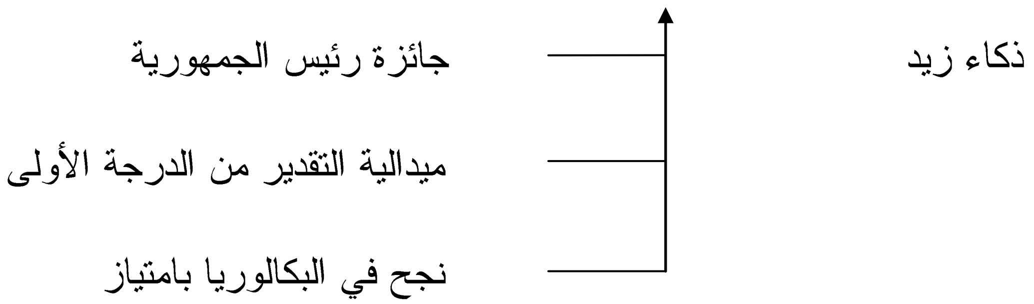

فنجاحه في البكالوريا بإمتياز هي حجة أولى على ذكائه، و ميدالية التقدير هي حجة أقوى من الحجة الأولى، أما جائزة رئيس الجمهورية فهي أقوى الأدلة على ذكائه، و مأتى هذا الترتيب هو أن الظواهر الحجاجية دائما تتطلب وجود طرف آخر.

3-3-2- قوانين السلم الحجاجي:

يتميز السلم الحجاجي بجملة من القوانين هي:

أ -**قانون الخفض:** مقتضى هذا القانون أنه" إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها[98] فالمرسل يختار حججه التي تنتسب إلى سلم واحد، بما يضمن له التدليل على قصده، و عدم تناقضها، بل و ليؤكد كل منها ما قيل قبلها. أو ليؤكد ما هو مضمر في درجات السلم لمدلول واحد؛ و لذلك فإن المرسل يبدأ بأدناها مرتبة فيرتب المرسل حججه في سلمية واحدة"[99]

مثال: كان أبو عبد الرحمن نبيل الأخلاق فهو:

[98] طه عبد الرحمن: اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص :.277
[99] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص: .502

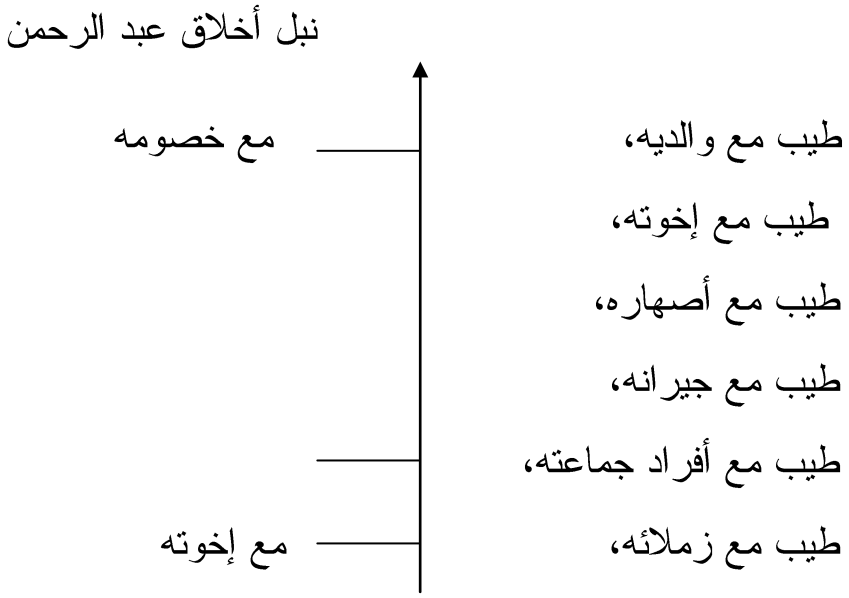

و بهذا فكل دليل يستلزم منطقيا ما تحته من أدلة.

ب/ قانون تبديل السلم: مقتضى هذا القانون الثاني أنه:" إذا كان القول دليلا على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله" [100]

مثال: يمكن أن نأخذ نفس المثال السابق.

- إذ يمكن للمرسل أن ينفي نبل أخلاقه بالقول:
- ليس طيبا مع جيرانه.

ولكن قوة النفي تترتب ترتيبا عكسيا، إذ أن نفي ما يقع في أدنى السلم، هو نفي أقوى لمدلول الخطاب، فنفي طيبته مع والديه دليل أقوى من كل الأدلة الأخرى على عدم نبل أخلاقه، و نفي طيبته مع أصهاره نفي أقوى لطيبته مع خصومه". [101]

[100] طه عبد الرحمن: اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص: 278.
[101] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص: 503.

جـ/ قانون القلب: مقتضى هذا القانون الثالث أنه:" إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول".[102]

مثال: نواصل مع نفس المثال:

" فنفي أي درجة أو دليل في السلم، لا يستلزم نفي ما يقع في المرتبة التي تدنوه فطيبته مع جيرانه أقوى دلالة على نبل أخلاقه من طيبته مع إخوته.

و لذلك فنفي طيبته مع إخوته هي دليل أقوى على عدم طيبته من نقيض طيبته مع جيرانه".[103]

3-3-3- وسائل السلم الحجاجي: يتحقق السلم الحجاجي من خلال استعمال أدوات لغوية، و آليات شبه منطقية.

" الأدوات اللغوية، كالروابط الحجاجية، مثل(بل، لكن، حتى، فضلا عن، ليس كذا فحسب، بل) السمات الدلالية، و درجات التوكيد.

الصيغ الصرفية(أفعل التفضيل، صيغ المبالغة).

(المفهوم، الموافقة، المخالفة)

حجة الدليل.[104]

---

[102] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب ، ص :.278

[103] المرجع نفسه، ص: .504

[104] المرجع نفسه،ص: .508

1/ الأدوات اللغوية:

1-1-الروابط الحجاجية: و من هذه الروابط.

أ/ (غني عن القول): مثال: و لم يكن الشبح ليزور أو يزار إلا في المناسبات، و لم يكن يقرأ الجرائد، أو يستمع إلى الراديو، **و غني عن القول** أنه لم يذهب في حياته إلى سينما أو مسرح، كما لم يخرج طوال الثلاثين عاما الأخيرة من حياته لنزهة أو لرؤية متحف أو حديقة...الخ.

ب/ لكن: و هي من أدوات الاستدراك.

مثال: لماذا لا تصادق أحمد، أليس جارك؟

بلى جاري، **لكنه** أخطأ في حقي كثيرا

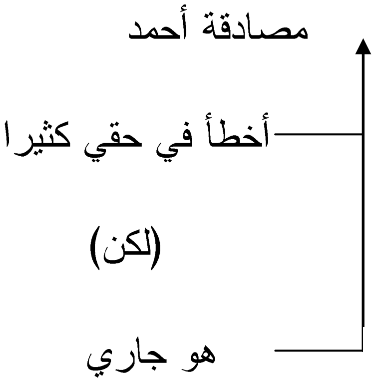

حيث أتت الحجة الأقوى هي الحجة الواردة بعد عبارة(غني عن القول)، و أتت الحجج مسرح الأخرى دونها، كونها تمثل أدلة أضعف منها قوة.

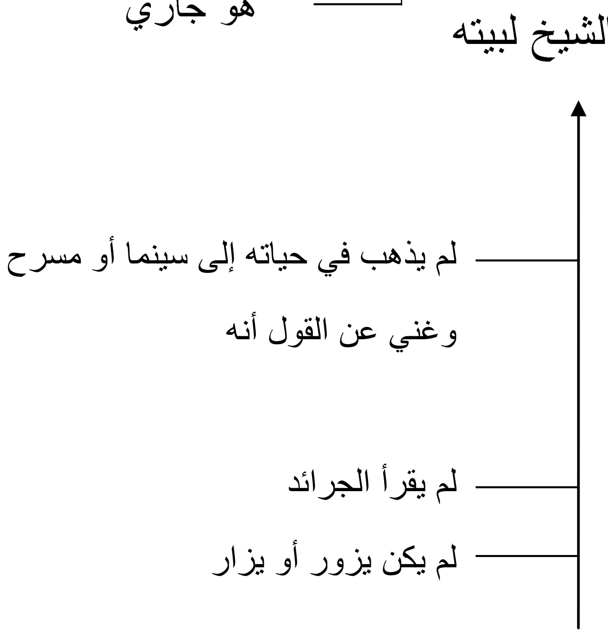

فالمرسل يستدرك بها بعد نفي أو نهي،فهو لا ينكر بأن أحمد جاره بل أقر بذلك، و لكنه ذكر سبب عدم مصادقته بأن جعل له حجة لتبرير موقفه منه.[105]

ج/ فضلا عن:

مثال:

لماذا لا تبقى في منزلك، فالجو بارد

– لا أملك غرفة فضلا عن منزل.

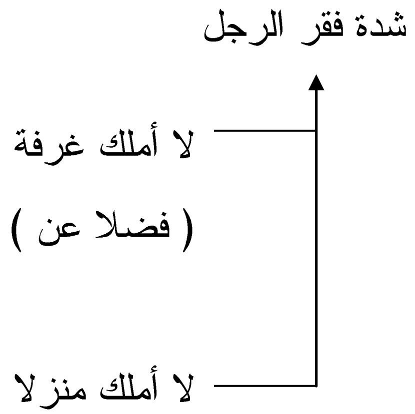

فالمرسل يصرح بأنه لا يملك غرفة و لا يملك منزلا، و أن عدم ملكه المنزل أولى من عدم ملكه الغرفة، إذ عمد لنفي الأقل كلفة (الغرفة) ليثبت عدم ملكيته للأكثر كلفة(المنزل) و هذا لأجل وصف الحالة المادية للرجل.

د/ بل:

و/ حتى:

و–1– حتى الجارة:

[105] عبد الهادي بن ظافر الشهري:استراتيجيات الخطاب،ص:509

مثال: حضر الحفلة جميع الأقرباء، حتى الغرباء.

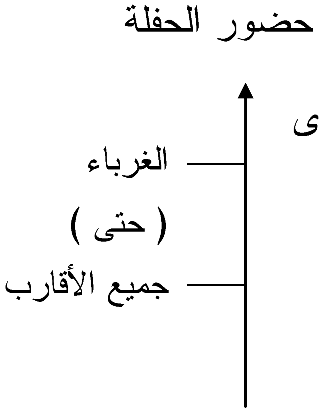

فالحجة التي جاءت بعد حتى هي الحجة الأقوى

و-2- حتى العاطفة:

مثال: صلينا جماعة حتى الأطفال

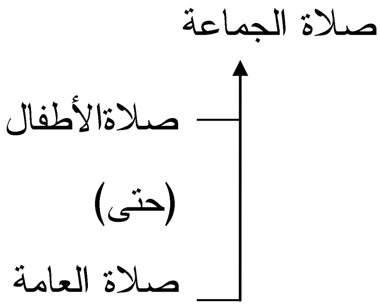

ن/ الحجاج بالعكس:

مثال: جاء الوزير **حتى** الرئيس.

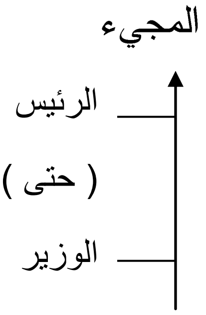

ن-1- (ما، إلا):

مثال: هذه الرحلة مملة فما مدتها إلا خمسة أيام فالمرسل هنا يحاول إقناع المرسل إليه بأن المدة قصيرة مدعما حجته بـــ(ما و إلا).

ن-2- القصر بـــ" إنما":

مثال: لم يكن أحمد صيادا فحسب، إنما كان معلما

ن-3- ما إلا

مثال: ما أنا إلا خادم بسيط

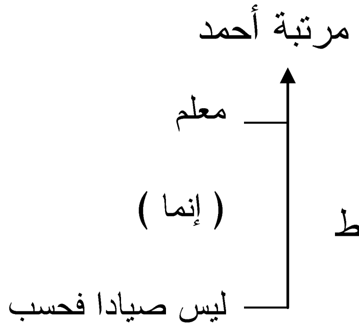

فهذه حجة قوية له على التواضع، حيث جعلت هذه الحجة الذات في أدنى مراتب السلم الحجاجي.

4/ ضوابط النص الحجاجي و خصائصه:

هناك العديد من الضوابط و الخصائص التي تميز النص الحجاجي عن غيره من النصوص الأخرى نذكر منها[106]:

ـأن يكون الحجاج ضمن إطار ثوابت مثل الثوابت الدينية و العرفية فليس كل شيء قابل للحجاج.

ـ أن تكون دلالة الألفاظ محددة و المرجع الذي يحيل إليه محدد بيد أن تفاوت التأويل يكسب الخطاب ثراء و غنى، و لكن لا يكسبه دقة و نهاية.

ـ ألا يقع المرسل في التناقض في قوله أو فعله و يجب أن يكون الحجاج موافقا لما يقبله العقل، و إلا بدا زيف الخطاب و دهن الحجة.

ـ أن يكون الحجاج جامعا مشتركا بين المتحاجين لكي يحصل توافق بينهما في إمكانية قبول الحجج أو رفضها.

[106] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص: 266 و 267.

_ ضرورة خلو الحجاج من الإيهام و المغالطة و الابتعاد عنها.

_ امتلاك المرسل لثقافة واسعة(بقدر ما أملك من ثقافة بقدر ما أملك من حجج).

هذه هي أهم ضوابط النص الحجاجي و انطلاقا من قول(GILLES DECLERCQ) يمكن إبراز أهم خصائص النص الحجاجي يقول" إن الحجاج و هو يتخذ من العلاقات الإنسانية و الاجتماعية حقلا له، يبرز كأداة لغوية و فكرية تسمح باتخاذ قرار في ميدان يسوده النزاع و تطغى عليه المجادلة".[107]

أهم خصائصه:

يمكن اعتبار النص الحجاجي نصا مترابطا متناغما و كذا نصا برهانيا فإذا كان قصده معلنا و استدلاله واضحا و أفكاره مترابطة فإنه وضع لإقناع المتلقي بفكرة ما.

و قد جمع" بنوارونو" سمات النص الحجاجي في النقاط التالية: [108]

القصد المعلن: و هو البحث عن إحداث أثر ما في المتلقي أي إقناعه بفكرة معينة و هو ما عبر عنه اللسانيون بالوظيفة الإيحائية.

التناغم: يوظف النص الحجاجي على نحو دقيق التسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات سواء تعلق الأمر بالفتنة أو الانفعال، و تكون له معرفة لنفسية المتلقي و قدراته و آفاق انتظاره، و يتجلى في نصه سحر البيان و تتأكد فتنة الكلام.

[107] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، ص: 24.
[108] المرجع نفسه ،ص:25.

الاستدلال: و هو سياقه العقلي أي تطوره المنطقي، فالنص الحجاجي قائم على البرهنة، و إذا أعدناه إلى أبسط صورة وجدناه ترتيبا عقليا للعناصر اللغوية، و يكون ترتيبا يستجيب لنية الإقناع.

البرهنة: إليها ترد الأمثلة و الحجج و كل تقنيات الإقناع مرورا بأبلغ إحصاء، و أوضح استدلال.

تـــــــمهيد:

الخطاب النبوي هو الحوار الذي أجري بين الرسول –صلى الله عليه وسلم– ومشاركين آخرين من أفراد المجتمع في عصره –صلى الله عليه وسلم– كما روي في الأحاديث النبوية. ويمثل الخطاب النبوي جزءًا من السنة النبوية التي هي بمثابة المرجع الثاني للشريعة الإسلامية بعد القرآن الكريم ما جعله موضع اهتمام العلماء والدارسين المسلمين في تفسير نصوصهم وتحليل مضمونه.

ولا يمكن تحليله وتجلية دلالته على نحو صحيح ودقيق، إلا بالنظر إلى المقام الذي أجري فيه الخطاب. وكان من مقتضى اتصاف كلام الرسول– صلى الله عليه وسلم– بالبلاغة والفصاحة اهتمامه بعناصر المقام للحدث الكلامي من المشاركين، وموضوع الخطاب، وهدفه.

فبعد أن قمت في الفصل الأول بالجانب النظري، وحاولت الإحاطة بجوانب الموضوع وذلك من خلال تعرضي لبعض التعاريف الخاصة بالحجاج، والتقنيات التي يقوم عليها أحاول من خلال هذا الفصل التطبيق من خلال خطبة حجة الوداع للرسول –صلى الله عليه وسلم– وذلك بالبحث عن مكمن الحجة في الخطبة ،بمعرفة مضمونها وإلى أي مدى ترقى البلاغة النبوية ؟

1 خطبة حجة الوداع:

إن هذه الخطبة العظيمة التي ألقاها النبي –صلى الله عليه وسلم– بعرفات في حجته الوحيدة في السنة العاشرة من الهجرة النبوية تعتبر بحق منهج جامع لكل مسلم ومسلمة، فالمتأمل لهذه الخطبة يجد أنها لا تستغرق إلا دقائق معدودة، ومع ذلك فقد حوت ما يحتاجه المسلم ليقوم بواجبه تجاه ربه ومجتمعه وأمته. لم ترد كاملة في موضع واحد من مصادر الحديث، فقد جاءت موزعة فيها على أكثر من باب وأكثر من حديث مع اختلاف في الرواية، يقول ابن كثير في" البداية والنهاية": " إن النقلة اختلفوا في حجة الوداع اختلافا كثيرا بحسب ما وصل إلى كل منهم من العلم ، وتفاوتوا في ذلك تفاوتا كثيرا، لاسيما من بعد الصحابة رضي الله عنهم.

أعلن رسول الله نيته بالحج، وأشعر الناس بذلك حتى يصحبه من شاء، فترك المدينة أواخر ذي القعدة. [109] وانطلق بعد الظهر حتى بلغ ذا الحليفة قبل أن يصلي، فصلاها ركعتين وبات هناك حتى أصبح، فلما أصبح قال لأصحابه: أتاني الليلة آت من ربي فقال: صل في هذا الوادي المبارك. وقل:عمرة في حجه .

ثم واصل سيره حتى قرب من مكة، فبات بذي طوى، ثم دخل مكة بعد أن صلى الفجر واغتسل من صباح يوم الأحد لأربع ليال خلون من ذي الحجة سنة 10 هـ وقد قضى في الطريق ثمان ليال.

وفي اليوم الثامن من ذي الحجة – وهو يوم التروية: توجه إلى منى، فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر– خمس صلوات– ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس، فأجاز حتى أتى عرفه، فوجد القبة قد ضربت له بنمره، فنزل بها حتى إذا زالت

[109] محمد الغزالي: فقه السيرة: دار المعرفة، الجزائر، د ط، ص:487.

الشمس أمر بالقصواء فرحلت له، فأتى بطن الوادي وقد اجتمع حوله مائة ألف وأربعة وعشرون أو أربعة وأربعون ألفا من الناس، فقام فيهم خطيبا [110] وألقى خطبته.

وأما سبب تسمية هذه الحجة حجة الوداع فلأنه ودع فيها – صلى الله عليه وسلم– الناس ولم يحج بعدها، وتسمى أيضا حجة الإسلام لأنه لم يحج من المدينة غيرها، وتسمى حجة البلاغ لأنه عليه الصلاة والسلام بلغ الناس شرع الله قولا وفعلا ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعدهم شيء إلا وبينه – صلى الله عليه وسلم– .

فلما بين له شريعة الحج ووضحه وشرحه أنزل الله عز وجل وهو واقف بعرفة اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا" [111].

نص الخطبة :

قال ابن إسحاق: ثم مضى" رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على حَجه.فأرى الناس مَنا سِكهُم، وأعلمهم سنن حجَّهِم، وخطب في الناس خطبته التي بين فيها ما بين فحمد الله وأثنى عليه[112] ثم قال :

" أيها الناس اسمعوا قولي ، فإني لا أَدرِي لعلي لا ألقاكُم بعد عَامِي هذا بهذا الموقف أبدا ، أيها الناس إنّ دِماءكُم وأَموالكُم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحُرمة يَومِكُم هذا وكحُرمَة شهرِكم هذا ، وإنّكُم سَتلقون ربكُم فيسألكم عن أعمالكم وقد بَلّغت ، فمن كان عنده أمانة فَليؤدِّها إلى من ائتمَنه عليها ، وإنّ كُل ربا موضوع ولكن لكم ر ؤوس أموالِكم لا تَظلِمُون ولا تُظلَمُون . قضى الله أنه لا رِبا ، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع و ان أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعا في بني اليث فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء

[110] صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم، دار ابن خلدون، د ط، ج1، ص: 365.
[111] إبراهيم العلي : صحيح السيرة النبوية، مراجعة همام سعيد، دار النفائس ، الأردن، ط1، 1415ه، 1990م، ص: 525.
[112] ابن هشام : السيرة النبوية، تعليق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1410 هـ، 1990م ج4، ص :247.

الجاهلية. أما بعد أيها الناس، فَإن الشَيطان قد يَئس من أن يُعبد بأرضِكم هذه أبدا ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم أيها الناس **[إنما النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ]_التوبة_37_**. وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض و**[إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ] _التوبة_36_** ثلاثة متوالية ورجب مضر ، الذي بين جمادى وشعبان. أما بعد أيها الناس فإن لكم على نِسائكم حقا؛ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه وعليهن أن لا يأتين بفاحِشة مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضرِبوهُن ضربا غير مبرح فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا ، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله فاعقلوا أيها الناس قولي، فإني قد بلّغتُ ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمرا بينا ، كتاب الله وسنة نبيه ، أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت ؟ فذكر لي أن الناس قالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اللهم اشهد".

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف قال : يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل يا أيها الناس ،إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :"هل تدرون أي شهر هذا "؟ فيقول لهم فيقولون :الشهر الحرام، فيقول:" قل لهم : إن الله حَرم عليكُم دِماءكُم وأموالكُم إلى أن تلقوا

ربكم كحرمة شهركم هذا " ثم يقول:" قل يا أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :"هل تدرون أي بلدٍ هذا " ؟ قال فيصرخ به، قال: فيقولون البَلد الحرَام قال فيقول : قل لهم: " إن الله قد حَرَّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا " قال: ثم يقول: قل: " يا أيها الناس، إن "رسول الله صلى الله عليه وسلم" يقول:" هل تدرون أي يوم هذا "؟ قال: فيقول لهم فيقولون: يوم الحج الأكبر، قال: فيقول: قل لهم: إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا "[113].

"هكذا كانت حجة الوداع، كان القائد الأعظم للفكر الإنساني كله أفرغها في هذا القالب من كلمات سهلة موجزة لا يزال صداها يرن في ضمير الدهر إلي يومنا هذا مُعَرِّفًا الناس بأن خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم تركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك "[114] .

2 موضوعات خطبة حجة الوداع:

تطرقت هذه الخطبة البليغة إلى موضوعات متعددة و مختلفة من حيث المضمون والمحتوى، إلا أنها تصب جميعها في معنى واحد هو التشريع الإسلامي، وتنظيم العلاقات بين الأفراد في سبيل بناء مجتمع إسلامي، راسخ القواعد، ثابت الأركان، متين البنيان يتسلح فيه الناس بدستور لا نظير له، يحقق العدل والخير، ويثبت الحق ويعضده؛ إنه دستور أساسه كتاب الله تعالى، وسنة نبيه" صلى الله عليه وسلم".

2-1- الإستفتاحية المتضمنة الحق على التقوى والإشارة إلى التوديع:

وقد افتتح النبي –صلى الله عليه وسلم– خطبته بحمد الله واستغفاره والتوبة إليه والاستعاذة من شرور النفس وسيئات العمل ونقائصه، مقترنة بالشهادتين، وتوصية

[113] ابن هشام:السيرة النبوية، ص:250.
[114] قطب عبد الحميد قطب:خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة،مراجعة محمد عاشور،ط1، 1408هـ، 1988م، ص:94.

المسلمين بعبادة الله وطاعته؛ وهو أمر لم تألفه العرب. فأصبح نهجا واضحا ومسلكا متبعا يسير عليه المسلمون في خطابتهم[115].

2-2 حرمة الدماء والأموال والأعراض:

إن الرسول –صلى الله عليه وسلم– يشير إلى موضوع بالغ الأهمية ألا وهو بيان أن دماء المسلمين حرام كأموالهم؛ يقول(إن دمائكم وأموالكم حرام عليكم)[116]، وفي ذلك استحضار لقول الله تعالى: **[وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ]_البقرة_84_**

وكذلك قوله تعالى:[**وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ]** _البقرة_188_

لا بد من تأمين الحقوق والأموال والأعراض، لو كسبت مالا من سحت ثم تصدقت به، أو وصلت به رحما ما كان لك من ثواب فيه.

الحلال هو الذي يقبله الله، ولا يجوز أن تفجع الناس في أموالهم أو ثرواتهم.[117]

2-3 رد الأمانات :

ورد حديثه – صلى الله عليه وسلم– عن الأمانة في صيغة أمر (*وَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ* فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنِ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا)مثلما جاء في قوله تعالى:[**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**] _**النساء_58**_ فيجب على كل مسلم رد الأمانات إلى أصحابها.

2-4 الربا:

ومن خلال حديثه –صلى الله عليه وسلم– عن الربا، أورد جزءا من آية قرآنية قال:**[إِنَّ كُلَّ رِبَا مَوضُوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تَظلِمُون ولا تُظلَمُونَ]** .

والآية كاملة مع التي قبلها :**[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ]-البقرة_278_**

---

[115] عبد الجليل العشراوي:الحجاج في الخطابة النبوية ،ص:161

[116] عبد الجليل العشراوي:الحجاج في الخطابة النبوية ص:132.

[117] قطب عبد الحميد قطب :خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة،ص:90.

فهذه الآية جاءت دليلا على تحريم الربا من جهة ومن جهة أخرى دعوة للمرابين إلى التوبة إلى الله.

" قضى الله أنه لا ربا، وأن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله"، رأس المال وحده هو الذي يحل أخذه وما وراء ذلك فممنوع [118] .

ولما كان العباس بن عبد المطلب– رضي الله عنه – عم رسول الله – صلى الله عليه وسلم– تاجرا وكان يرابي في أمواله على عادة أهل الجاهلية.

فإن النبي – صلى الله عليه وسلم– طبق القانون أول ما طبق على عمه!![119]

2–5 القتل:

كان القانون السائد في الجاهلية الأخذ بالثأر، لكن بمجئ الإسلام فتحت صفحة جديدة تجعل من كان له قتيلا قبل ذلك ينسى ولا يطلب ثأره. حيث هدم تلك العادات والأعراف وأقام مقامها ما يتقوم به صلاح المجتمع، ومن ذلك القواعد التنظيمية بين القاتل وأهل القتيل [120].

وهو الأمر نفسه الذي جاء في قوله تعالى :[يا أيها الذين آمنوا، كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر، والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى، فمن عفي له من أخيه شيء، فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان]_**البقرة_178_**

2–6 النسيء:

إن الرسول –صلى الله عليه وسلم– نبه إلى حرمة الأشهر الحرام، وأراد من خلال خطبته أن يبطل عملا كان المشركون يعملونه، وهو أنهم إذا أرادوا مد القتال إلى رجب أو إلى المحرم قالوا: نحل هذا الشهر ونحرم شهرا آخرا من الشهور الحرام في السنة. وقد تضمن البيان النبوي هنا آيتين من سورة التوبة، ثانيتهما هنا سابقة على أولاهما في المصحف الشريف. الأولى قوله تعالى : [**إنما النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ**

---

[118] قطب عبد الحميد قطب :خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة، ص:91.
[119] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.
[120] عبد الجليل العشراوي:الحجاج في الخطابة النبوية ، ص:133

كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّه].
_التوبة_37_

والثانية قوله سبحانه:**[إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ] _التوبة_36_**

2-7- حقوق الزوجين:

تحدث عليه الصلاة والسلام عن حقوق الأزواج على الزوجات ثم حقوق الزوجات على الأزواج، وذلك لأجل تنظيم علاقة الفرد بالأسرة، وعلاقة الفرد بالمجتمع.

فقوله صلى الله عليه وسلم:" ولا يأتين بفاحشة " أو " إلا أن يأتين بفاحشة مبينة" استحضار لآيات قرآنية [121] نبدؤها بقوله تعالى: [**وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ**] _النساء_19_وقوله تعالى: [**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ**]_الأحزاب_30_وقوله كذلك:[**لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ**]_الطلاق_01_

2-8- وجوب الأخوة:

يحث الرسول صلى الله عليه وسلم على الأخوة في قوله:" تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ مال أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

9.2. التقوى مقياس التفاضل:

إن دعوة الرسول إلى تقوى الله وطاعته دعوة تسري على الناس كافة، ويذكر بأن معيار التفاضل بين الناس هو درجة تقوى الله وخشيته، ويورد في معرض حديثه قوله تعالى:**[إِنَّ أَكرَمكُم عِندَ اللهِ أَتقَاكُم]_الحجرات_13_**

[121] عبد الجليل العشراوي :الحجاج في الخطابة النبوية ،ص: 135.

لقد جمع صلى الله عليه وسلم في خطبته الوعظ والمعيشة والحياة في كلمات متناسقة روحية، وتعابير ميسرة ونماذج علاجية لتكون في متناول الإنسان البسيط وبين للناس واجباتهم وحقوقهم، من أجل بناء مجتمع متراص يشد المؤمن بعضه بعضا.

3 – مقومات الخطابة النبوية:

إن المهمة الأساسية التي كلف بها سيد البشرية هي مهمة الإبلاغ والتبيين و الهداية وكان لزاما عليه– صلى الله عليه وسلم– أن يكون أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء، لأن الرسالة والتبليغ لا يتمان إلا بالبلاغة وبيان.

وأما فصاحة اللسان، وكلامه المعتاد – صلى الله عليه وسلم – وجوامع كلمه وحكمه المأثورة، فقد ألف أناسا فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب، وفيها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة [122] فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يجهل سلامة طبع وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم[123].

3–1 جوامع الكلم:

أعطي النبي – صلى الله عليه وسلم– جوامع الكلم، جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم–:"بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض، فوضعت في يدي "[124].

والكلم جمع كلمة، والكلمة الجامعة أو الكلام الجامع هو الكلمات التي قل لفظها وكثر معناها، أي أنه أوتي الكلم الجوامع للمعاني، أو هي أن يجمع الله له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين وغير ذلك، وفي رواية البخاري "

---

[122] القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تح علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي بيروت، 1404 هـ - 1984، ج1، ص: 102.

[123] عبد الجليل العشراوي : الحجاج في الخطابة النبوية، ص: 97.

[124] عبد الله الخيضري: اللفظ المكرم بخصائص النبي-صلى الله عليه وسلم -، تحقيق أحمد المولود الحبكي، 1410هـ - 1990م، ج2، ص: 181.

أعطيت مفاتيح الكلم"[125] وهي بمعنى جوامع لأن الأمر الجامع ينفتح منه الاستنباط وإظهار الأدلة بمعنى أنه جامع وكذا مفتاح . ويقال أن جوامع الكلم هو القرآن الذي يجمع الله تعالى فيه الألفاظ اليسيرة من المعاني الكثيرة.

وكلامه عليه الصلاة والسلام، كان بالجوامع قليل اللفظ خال من الإطالة بعيد عن الحشو، لا يجاوز مقدار القصد والصواب.وقد انفرد عليه الصلاة والسلام بذلك دون سائر العرب.

" من أمثلة ذلك قوله– صلى الله عليه وسلم – في حديث الفتنة (هدنة على دخن) [126] وتعد من الكلمات الجامعة التي جرت مجرى الأمثال.

والهدنة بمعنى: الصلح والموادعة لعلة من العلل، والدخن هو ما يتصاعد من دخان النار إذا ألقي عليها الحطب[127].

فشبه عليه الصلاة والسلام الحطب الرطب الذي يوضع على النار بالصلح الذي يتم على خداع وغش، فهذه النار يخمد لهيبها لفترة قصيرة، ويتصاعد دخانها ثم لا تلبث أن تشتد؛ فكما يغلب الدخن على الطعام، فلا يجد آكله إلا رائحة هذا الدخان والطعام من بعد ذلك مشوب مفسد[128].

وبذلك يكون – صلى الله عليه وسلم– قد أودع ألفاظ قليلة في معاني كثيرة وهي عبارة عن نسج تصويري يشد انتباه كل سامع ويبهر تصوره.

3-2 الإيـــــجاز :

إن أهم صفة في كلامه – صلى الله عليه وسلم – اتساع المعنى وقلة اللفظ وبلاغته تقوم على الكلمات القليلة والجمل المقتضية، لكنه إذا رأى وجها للإطالة أطال.

---

[125] عبد الله الخيضري: اللفظ المكرم بخصائص النبي-صلى الله عليه وسلم ، ص: 182.
[126] عبد الجليل العشراوي: الحجاج في الخطابة النبوية، ص: 98.
[127] ابن منظور: لسان العرب ، مادة دخن.
[128] مصطفى صادق الرافعي:تاريخ آداب العرب، مراجعة درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2002 ، ج2، ص: 273 و274.

والإيجاز والإقلال كان هو الغالب على كلامه لأن الإيجاز قوة في التعبير، فكان عليه الصلاة والسلام يأمر الصحابة بتقصير خطبهم، وكان اذا بعث أميرا قال أقصر خطبتك ، وأقلل كلامك وهذا الإيجاز، لا يتجاوز بالقول مقدار الإبلاغ في المعنى المراد.

فالبلاغة إجاعة اللفظ وإشباع المعنى، ومحمد- صلى الله عليه وسلم- إذ يقف موجزا لا إسهاب بعده ولا إطناب يترك النفوس ذاهلة مأخوذة أمام قصر الجمل وقلتها، واتساع المعنى وشموله، فيخلق ذلك جوا من التأمل والحيرة قد يمتد صداه لأيام مما يدفع الجمهور إلى الاعتبار والاتعاظ"[129].

3-3 تخير اللفظ :

إن بلاغة النبي – صلى الله عليه وسلم- تفوق بلاغة العرب كلهم ، ومع هذا فهو لا يتكلف القول ولا يقصد إلى تزيينه، ومكن الله له من أفانين البلاغة والسداد ما جعله يبهر قوما أحسن ما يمكن أن نصف به بلاغتهم، فلا بد أن يكون الذي يتولى إبلاغهم أشد منه عارضة وأقوى منهم حجة، فكان صلى الله عليه وسلم يتخير الألفاظ حتى يصل المعنى إلى ذهن السامعين يسيرا مفهوما، فجاء كلامه متصفا بالعذوبة والجزالة والسهولة .

ومن أسباب تخيره الألفاظ، أولا مراعاة لإحساس المخاطب فيختار ما لطف من من العبارة، ثانيا أنه مسؤول عن كل لفظ إذ يعلم بأن صحابته سيتداولون حديثه كما نطق به.

ومن المحقق أنه صلى الله عليه وسلم في خطابته لم يكن يستعين بخلابة ولا تزويق ومع ذلك تلتحم الألفاظ بالمعاني لتشكل نسقا خطابيا يطبعه التماسك والانسجام ، اللذين يمنحان الخطاب إمكانية وسهولة النفاذ إن إلى القلوب قصد الاستمالة، أم إلى العقول بغية الإقناع[130] .

[129] عبد الجليل العشراوي: الحجاج في الخطابة النبوية، ص: 102.
[130] المرجع نفسه، ص: 104.

4- بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم وفصاحته:

إن البلاغة النبوية ترقى إلى أعلى مدارج الكمال البشري في حسن التأتي للمعاني بأدق ما يمكن أن تؤديه المفردات والجمل من دلالات ومعاني تقع في النفوس موقعا بالغا من التأثير.

وإذا كان من شأن العرب أن يتكلفوا القول صناعة، يحسنها خطيبهم و حكيمهم، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم – وقد صنعه الله على عينه – يرسل الحديث سليقة و إلهاما سليما مما يعتري كلام الناس من خلل أو اضطراب، والجاحظ خير من وصف بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله:" هو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف استعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي؛ فلم ينطق عن ميراث حكمه، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشد بالتأييد، ويسر بالتوفيق وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول، وجمع بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام [131] .

إن ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويسقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله، وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله، وكأنما هي في اختصارها وإفادتها نبض قلب يتكلم وإنما هي في سموها وإجادتها مظهر من خواطره –صلى الله عليه وسلم – وهي البلاغة النبوية، تعرف الحقيقة فيها كأنها فكر صريح من أفكار الخليقة؛ وتجئ بالمجاز الغريب فترى من غرابته أنه مجاز في حقيقته.

أما فصاحته صلى الله عليه وسلم، فهي من السمت الذي لا يؤخذ فيه على حقه، ولا يتعلق بأسبابه متعلق، فقد كان صلى الله عليه وسلم رأس الفصاحة، ألا وهو القائل" أنا

[131] مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي ، بيروت، 1425 هـ ، 2005 م، ص: 194 و 195.

أفصح العرب بيد أني من قريش" وهو القائل أيضا:" أنا أفصح من نطق الضاد" كما كان أفصح العرب، فإن العرب وإن هذبوا الكلام وحذقوه وبالغوا في إحكامه وتجويده، إلا أن ذلك قد كان منهم عن تكلف يستعان له بأسباب الإجادة التي تسمو إليها الفطرة اللغوية فيهم، فيشبه أن يكون القول مصنوعا مقدرا على أنهم مع ذلك لا يسلمون من عيوب الاستكراه والزلل والاضطراب.[132]

بيد أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، كان لا يتكلف القول، ولا يبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة، ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده، بحيث لا يجد النظر إلى كلامه طريقا يتصفح منه صاعدا أو منحدرا، ثم لا يعرض له في ذلك سقط ولا استكراه أو زلل؛ وتعرف له إلا المعاني التي هي إلهام النبوة، ونتاج الحكمة، وغاية العقل.

فكان_ صلى الله عليه وسلم_ يخاطب كل قوم بلحنهم وعلى مذهبهم، ثم لا يكون إلا أفصحهم خطابا، وأسدهم لفظا، وأبينهم عبارة، ولم يعرف ذلك لغيره من العرب؛ فقد كان ذلك توفيقا وإلهاما من الله، إذ ابتعثه للعرب وهم قوم يقادون من ألسنتهم ولهم المقامات المشهورة في البيان والفصاحة؛ ثم هم مختلفون في ذلك على تفاوت ما بين طبقاتهم في اللغات آداب العرب فمنهم الفصيح والأفصح، ومنهم الجافي والمضطرب.[133]

وكلام النبي_ صلى الله عليه وسلم _وإن كان نازلا عن فصاحة القرآن وبلاغته فإنه في الطبقة العليا، بحيث لا يدانيه كلام ولا يقاربه من كلام البشر [134] .

وجاء عن علي بن الحسين بن واقد:" حدثنا أبي، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه عن عمر بن الخطاب_ رضي الله عنه_ أنه قال يا رسول الله مالك أفصحنا،ولم تخرج من بين أظهرنا ؟

قال:" كانت لغة إسماعيل قد درست فجاء بها جبريل فحفظنيها"[135]

---

[132] مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص: 194.
[133] المصر نفسه،ص:195.
[134] محمد عبد الحليم غنيم: البلاغة النبوية، دراسة تطبيقية' 2003م، ص: 3.

وقال عباد بن العوام: حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبيه قال رجل: يا رسول الله، ما أفصحك، ما رأيت الذي هو أعرب منك ! قال:" حق لي"، وإنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين "[136].

ولقد كان_ صلى الله عليه وسلم _من فصاحته وبيانه وقوة بلاغته بين أنصاره وأعوانه يسألونه عن معنى بعض كلامه فيجيب ويوضح لهم ما أشكل من الغريب فقد كان_ صلى الله عليه وسلم_ في اللغة القرشية التي هي أفصح اللغات وألينها بالمنزلة التي لا يدافع عليها ولا ينافس فيها، وفضلهم بقوة الفطرة واستمرارها وتمكنها مع صفاء الحس ونفاذ البصيرة، بحيث يصرف اللغة تصريفا، ويديرها على أوضاعها، ويشقق منها في أساليبها ومفرداتها مالا يكون لهم إلا القليل منه؛لأن ذلك لا يكون في أهل الفطرة مزاولة ومعاناة، وإنما هي إلهام بمقدار تهيئ له الفطرة القوية، كالنبي – صلى الله عليه وسلم – فهو اصطنعه لوحيه، ونصبه لبيانه وخصه بكتابه ،واصطفاه لرسالته [137] ، غير أنهم عرفوا منه الفصاحة على أتم وجوهها وأشرف مذاهبها، حيث كان كلامه لا يستكره في بيانه معنى، ولا يند في لسانه لفظ، ولا تغيب عنه لغة، ولا تضرب له عبارة، ولا ينقطع له نظم ولا يعتريه ما يعتري البلغاء في وجوه الخطاب وفنون الأقاويل من التخاذل وتراجع الطبع، والتفاوت بين العبارة والعبارة والتحيف بمعنى آخر بالنقص فيه والعلو في موضع والنزول في موضع؛ إلى أمثال أخرى لا نرى العرب قد أقروا له بالفصاحة إلا وقد نزه_ صلى الله عليه وسلم_ عن جميعها [138] .

وكأنما وضع يده على قلب اللغة ينبض تحت أصابعه .

---

[135] ابن ناصر الدين الدمشقي: جامع الآثار في السير ومولد المختار، تح أبي يعقوب نشأت كمال، دار الفلاح قطر، ط1، 1431هـ، 2010 م، ج5، ص: 35.

[136] المرجع نفسه، ص: 35.

[137] مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 196.

[138] المصدر نفسه، ص: 197.

فقد جاء في قوله – صلى الله عليه وسلم – في التضرع إلى الله عز وجل " اللهم باعد بيني وبين الخطايا كما باعدت بين المشرق والمغرب ونقني من الذنوب كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس".

5- الأسلوب في خطبة حجة الوداع:

إن الأسلوب يتسم بطابع الفردية؛ إذ لكل صانع قول مذهبه في ذلك وأسلوبه. فالأسلوب هو الرجل نفسه"[139] إذ يقوم بالتجسيد المادي للأفكار، والأدلة مهما كانت مقنعة لا تكفي ما لم تقدم بأسلوب مقنع، يجوز مجموعته من العناصر التعبيرية والفنية والجمالية .لأن عامة الناس يتأثرون بمشاعرهم أكثر مما يتأثرون بعقولهم، فحاجتهم إلى وسائل الأسلوب أكثر من حاجتهم إلى الحجة.

ويختلف الأسلوب تبعا لنوع الخطاب من جهة، وطبيعة المقام والجمهور من جهة أخرى، فالأسلوب في الكتابة غيره في المناقشات والأسلوب في الجماعات غيره في المحاكم، وأسلوب الكتابة أدق، وأسلوب الحديث أشد حركة وتنازعا، وهذا النوع الأخير يتضمن ضربين أحدهما يعبر عن الأخلاق، والآخر عن الانفعالات.[140]

كما أن قيمة الأسلوب تبدو في كون البلاغة ليست لإفهام المعنى وإبلاغه فحسب وإنما البلاغة تفوق إفهام المعنى إلى الامتياز في التعبير والخروج من سماحة الاستكراه وفساد التكلف. وأن يضفي الخطيب من أسلوبه على معانيه حلة من نور؛ ليتسنى للسامعين أن يتملوا معه جمال رؤاه، وبراعة خياله، فلا يكفي إذن أن يعرف المرء ما ينبغي أن يقول بل يجب أن يقوله كما ينبغي.

[139] هنريش بليت: البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ص: 52.
[140] أرسطو: الخطابة، ص: 225.

5 1 الجانب التركيبي:

5-1-1 الإيجاز:

حصر القدامى الإيجاز في البلاغة، ومن الناحية الحجاجية فهو يشكل سلاحا نواجه به آفة النسيان، وعدم الانتباه .والملاحظ في الخطبة محور الدراسة، أن أسلوب الإيجاز فيها طاغ؛ ذلك أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – طرق موضوعات شتى سبق ذكرها في خطبة واحدة، وذلك بتقليل اللفظ، وتكثير المعنى لغرض الإفهام، والإقناع.

لقد عالج – صلى الله عليه وسلم – مسائل عقدية وتشريعية كبرى، بكلمات وألفاظ معدودة ودقيقة، قرر من خلالها الأحكام، وحسم بها أمر كل خلاف؛ من ذلك:

-حُرمة الدِمَاء والمَالْ:في قوله – صلى الله عليه وسلم – " إنَّ دمائَكُم وأَموَالَكُم حَرام عليكُم إلى أن تَلقوا ربكُم كَحُرمة يومِكُم هَذا، في شَهركُم هذا، في بلدِهم هذا "

فهنا المعنى لا يتضح إلا بتقدير محذوف، فالأسلوب من قبيل الإيجاز بالحذف، لأن الذوات لا يتعلق بها تحريم ولا تحليل، وهذا ما سوغ هذا الإيجاز" [141] (فالتحريم) ليس المقصود به لدى السامع تحريم ذات الدماء وإنما ينصرف ذهنه – بحسب المقام – إلى تحريم سفكها وانتهاكها والاعتداء عليها. وكذلك الأمر بالنسبة إلى قوله – صلى الله عليه وسلم – في الخطبة (ألا هل بَلَّغت) الواردة عدة مرات فتدل هذه العبارة المكررة على اكتفاءه بالفعل " بلغت" دون التنصيص على مفعوليه، وتقدرهما مثلا بقولنا: بلغتكم جميع بما أمرت بتبليغه.

5-1-2 التوكيد:

يقول يحي بن حمزة العلوي في كتابه الطراز: "اعلم أن التأكيد تمكين الشيء في نفسي وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الأذى عما أنت بصدده، وهو دقيق

[141] عبد الجليل العشراوي: الحجاج في الخطابة النبوية، ص: 148.

المأخذ، كثير الفوائد "[142] والتأكيد هنا بمعنى التكرير أو التكرار فهو يأتي لأهداف ومقاصد بلاغية توسع المعنى وتعمق دلالة الألفاظ. والأمر المؤكد يكتسي أهمية بالغة تستدعي من المتلقي تأملا وإجالة فكر، وهذا ما نجده في ثنايا الخطبة إذ يحيل تأكيدها إلى الالتزام بمضمونها. وأكثر ما تم به التأكيد الأداة" إن" ومن تلك العبارات :

-إنّ دِمائكُم وأموالكُم حَرَامٌ عليكُم.

-إنِّي لا أدرِي لعلي لا ألقَاكُم بعد عامِي هذا.

-إنَّ كل رِبا موضوع.

-إن لِنسائِكُم عليكُم حق...

-.....

ولزيادة التوكيد ومضاعفته، نجد كذلك توظيف حرف التحقيق والتوكيد" قد" منفردا ومقترنا بـــ إن ، كما في قوله – صلى الله عليه وسلم- :"

-إنِّي قد تركتُ فِيكُم ما إن أخذتُم به لم تُضِلوا بعده كتاب الله.

-إنَّ الشَيطان قد يئِس أن يُعبدَ في أرضِكُم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك ....

-إنَّ الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث.

وفي عبارة " إنَّ الزَّمَان قد استَدار" أكثر من مؤكد، هي: إن، واسمية الجملة، وقد الداخلة على جملة الخبر الفعلية، وتكرار الإسناد في استدار، لأن فاعله ضمير يعود إلى الزمان؛ وهذا يدل على خطورة القضية وحاجتها إلى التأكيد والتوثيق والتقرير والتثبيت[143].

-اتصال نون التوكيد بالفعل المضارع، وذلك في قوله- صلى الله عليه وسلم – :

-لا تَظلِمُنّ أنفسَكُم.

[142] محمد عبد الحليم غنيم: البلاغة النبوية دراسة تطبيقية، ص: 10.

[143] عبد الجليل العشراوي: الحجاج في الخطابة النبوية، ص: 149.

-لا تَرجِعن بَعدِي كُفَارًا.

-التأكيد بأسلوب القصر، كما في قوله – صلى الله عليه وسلم – لا إله إلا الله

-ولا يحل لامرئ مال أخِيه إلاّ عن طِيب نفسٍ منهُ.

-ولا يَدخلن أحدا تَكرَهونَه بيُوتِكم إِلاَّ بإذنِكُم.

5-1-3 التـــــكرار:

يعد التكرار الأسلوب الأكثر شيوعا في الخطابات على تنوع مواضيعها، واختلاف أجناسها، إذ يعين المتكلم على ترسيخ الأفكار في الأذهان والتأثير في المتلقي. كما يساعد على التبليغ والإفهام.

والتكرار قد يكون معنويا وذلك بتكرار الحجة أو الدليل لا بلفظه بل بمعناه، وقد يكون لفظيا، بتكرار اللفظة نفسها أو التركيب عينه في الموضع ذاته أو في أكثر من موضع.

ومن أمثلة ما جاء في الخطبة قوله – صلى الله عليه وسلم – :" لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا" فالملاحظ في هذه العبارة أنه عليه الصلاة والسلام، استخدم اسم الإشارة مرتين، أشار بأحدهما إلى مكان معين (موقفي هذا) وأشار بالآخر إلى زمان معين (عامي هذا).

-" أخَذتُموهُنَّ بأمانة الله واستحْللتُم فروجَهُنَّ بكلمة الله ، فاتَّقُوا الله في النساء " جاء في هذه العبارة، تكرار كلمة الله، مما يدل على استحضار خشية الله في التعامل مع النساء.

5-1-4 النـــداء:

يعد النداء توجيها ،لأنه يحفز المرسل إليه لردة فعل تجاه المرسل. [144] وقد بدأ به الرسول – صلى الله عليه وسلم- خطبته- بعد الحمد والثناء.

[144] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص: 360.

والأغلب أن النداء يكثر في بداية الموضوعات لفتا لأنظار الحاضرين وشدا لانتباههم، لأجل بيان المقصد، قصد إيصال الخطاب بشكل تقبله العقول.

5-1-5 أسلوبا الأمر والنهي:

الأمـــــر:

يدخل الأمر في البلاغة العربية، وهو من أنواع الإنشاء الطلبي، وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء، والأظهر أن صيغته، من المقترنة باللام.[145]

والأمر في الخطبة طلب لأمر شرعي، وحكم لا يقبل المناقشة في أخذه ورده، ولكنه جاء للأخذ به وتنفيذه؛ لأنه صادر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : باعتباره الإنسان الذي لا ينطق عن الهوى، ومن ثم لا يبق أمام المؤمن إلا الانصياع له وطاعته [146] ومن أمثلة ما جاء في الخطبة ، قوله عليه الصلاة والسلام :

-عَليكُم رِزقُهنَّ وكِسوَتهُنَّ .

-فَمَن كَانت عنده أمَانة فَلْيُؤدِّهَا إلى مَن إئْتَمَنه عَليها.

-اتَّقوا الله في النسَاءِ واستوصُوا بِهن خَيرًا.

وقد تستعمل صيغة الأمر في غير طلب الفعل بحسب مناسبته المقام، ونلاحظ أن الأمر خرج عن معناه الأصلي إلى معنى يفيد الدعاء في قوله – صلى الله عليه وسلم – : "اللهم أشهد " فهو هنا يدعو الله عز وجل أن يشهد له بالبلاغ.

النهي :

وهو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء [147] وله صيغة واحدة وهي المضارع مع لا الناهية .

---

[145] الخطيب القروينى : الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع، ص: 147.

[146] عبد الجليل العشراوي : الحجاج في الخطابة النبوية، ص: 151.

[147] أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط، يوسف الصميلي، المكتبة العصرية بيروت، ط1، 1999م، ص: 76.

وقد تخرج هذه الصيغة عن أصل معناها إلى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال، كالدعاء، والإلتماس والإرشاد، وبيان العاقبة، والتهديد ... الخ.

والنهي في الخطبة يقتضي من السامعين الامتثال لمحتواها، فتركها يحقق صلاح الفرد والمجتمع ومن أمثلته:

-لا تَظلِمُنَّ أنفسَكُم.

-لا يُحِل لامرئ مَال أَخِيه إِلاَّ عن طِيب نفسٍ منه.

-لا تَرجِعن بَعدِي كُفَارًا.

-.....

إن أسلوبي الأمر والنهي يهدفان إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين هذا السلوك تحدده وصايا الخطبة ومواعظها وتشريعاتها.

5-1-6 الاستفهام:

هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل وذلك بأداة من إحدى أدواته[148].

وتنقسم بحسب الطلب إلى ثلاث أقسام:

-ما يطلب به التصور تارة والتصديق تارة أخرى وهو : الهمزة.

-وما يطلب به التصور فقط وهو ألفاظ الاستفهام ما عدا الهمزة، وهل.

إن الاستفهام بدوره يخلق جوا من التفاعل بين المتكلم والمخاطب لذلك ارتكزت الخطبة على هذا الأسلوب، المتمثل في قوله – صلى الله عليه وسلم – من خلال عبارته المتكررة (ألا هل بَلَّغت؟).

5-1-7 الشرط:

هو تركيب ينعقد بين طرفين يكون حصول الثاني فيه مشروط بحصول الأول، يسمى الأول فعل شرط ، والثاني جوابه ، كما ينعقد الشرط بواسطة أدوات خاصة تسمى أدوات الشرط.

[148] أحمد الهاشمي :جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،ص:78.

وهو يقدم باعتباره ينم عن قيمة الموضوع، الأسباب والمسببات والنتائج التي تغدو قواعد ثابتة، وقوانين صارمة.

وقد شاع توظيفه في جنات الخطبة في مثل قوله صلى الله عليه وسلم :" فمن كانت عِندَه أمانَة فَلْيُؤَدَّهَا إلى من ائْتمَنَهُ عليها" و " من يَهدِ الله فلا مُضِل له" و" من يُضلِل فلا هادي له" و" فإن فَعلْن فإنَّ الله قد أذِنَ لكم أن تعضِلوهُن" و " ....." .

2 5 الصور البلاغية:

جاء توظيف الصورة البلاغية في الخطبة لتقريب الفكرة والتأثير في السامع باستنهاض قدراته الذهنية وتحريك آلة البحث عنده للوقوف على وجوه الاستدلال فيها، من جهة وكذا تذوق جماليتها وروعتها من جهة أخرى .[149]

وقد تنوعت طبيعة الصور البيانية في الخطبة رغم قلتها:

5-2-1 الاستعارة:

هي الضرب الثاني من المجاز، وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له[150].

والاستعارة في اصطلاح البلاغيين استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي، ثم يردون الاستعارة إلى التشبيه، فيقولون الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه مع وجه الشبه[151].

وفي الخطبة استعارة في قوله – صلى الله عليه وسلم – :" ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية ودم تحت قدمي هاتين"، جمع الرسول – صلى الله عليه وسلم – بين المأثرة التي هي معنوية، وما يفتخر به العربي، كالأخذ بالثأر فجعل هذه الأشياء المعنوية كأنها

[149] عبد الجليل العشراوي: الحجاج في الخطابة النبوية، ص: 153.
[150] الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص :285.
[151] محمد عبد الحليم غنيم: البلاغة النبوية دراسة تطبيقية، ص: 07.

ماديات يضعها تحت قدميه، حيث تقوم هذه العبارة على المقابلة بين المآثر العظيمة وبين الاحتقار الشديد.

إن روعة هذه الصورة وإحكام نسجها يجعل المتلقي يتمثله ويتبين حجمه وسعة أهميته، ومن ثم الامتثال والاتعاظ .

5-2-2 التشبيه:

وهو أول طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى، وهو في اللغة: التمثيل، وعند علماء البيان: مشاركة أمر لأمر في معنى وبأدوات معلومة.[152]

وهو لون بلاغي، يزيد المعاني رفعة ووضوحا، ويسكبها توكيد وفضلا، ويكسوها شرفا ونبلا.فهو فن واسع النطاق، يزيد الخطاب وضوحا ونفا ذا إلى القلوب والعقول.

وقد وظفه – صلى الله عليه وسلم- في خطبته في قوله:" إِنَّ دِمَائَكُم وأَموالَكُم حَرَامٌ عَليكُم إلى أن تَلقوا رَبَّكُم كَحُرمَةِ يَومِكُم هذا، في شَهرِكُم هذا في بلدِكُم هذا " فكان الغرض من هذا التشبيه تغليظ الحرمة، كما نلاحظ تكرار كلمة " ذا" وزيادة في تأكيد ذلك المؤكد " إن" في سبيل بيان عظمة تحريم الدماء والأموال، والملاحظ في هذا التشبيه أن المشبه به استدعي من واقع المسلمين المحسوس ليجسد تلك الحرمة ويعمق معناها.

5-2-3 المجـــــاز:

يعد المجاز من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة لإيضاح المعنى، إذ به يخرج المعنى متصفا بصفة حسية تكاد تعرضه على عيان السامع "[153] لهذا شغفت العرب باستعمال المجاز لأنه دليل الفصاحة ورأس البلاغة، والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة وأحسن موقعا في القلوب والأسماع. وسبيله الاتساع في الكلام أي هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينه دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي.

[152] أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة، ص: 219.
[153] المرجع نفسه، ص: 249.

والمجاز في الخطبة وارد في قوله – صلى الله عليه وسلم – " وإنما النساء عندكم عوان" و " عوان" بمعنى الأسيرات، ووجه المجاز : أن النساء عند زواجهن بمنزلة الأسرى، فهنا تشبيه بليغ، المشبه فيها " النساء" و المشبه به " عوان" والأداة مقدرة، ووجه الشبه محذوف.

5-3 الصور البديعية :

إن الأشكال اللغوية التي تنتمي إلى المستوى البديعي لها دورا حجاجيا لا على سبيل تحسين وزخرفة الخطاب، وإنما بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد.

وهذه القيم اللفظية والصوتية ليست سوى نظم الكلام وتأليفه وإنما تحقق مبدأ التكوين في الخطاب.

5-3- 1الطباق:

وهو الجمع بين الشيء وضده في الكلام [154] ويعد من صفات المعاني، ويسمى بالمطابقة وبالتضاد ، وبالتطبيق وبالتكافؤ، وبالتطابق، ويعني الجمع في الكلام بين معنيين متقابلين سواء أكان ذلك التقابل تقابل الضدين أو النقيضين أو الإيجاب والسلب، أو التضايف، ومن أمثلته في الخطبة(يحلون، يحرمون)، (الشاهد، الغائب) وهذا يستدعي التركيز من المتلقي حتى يفهم المعنى المقصود.

5-3-2 المـــــــقابلة :

وهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل [155] وقد تتركب المقابلة من طباق وملحق به مثل قوله تعالى :[**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا**]_**التوبة_82_** فإن جاوز الطباق ضدين كان مقابلة، ومن وظائفها أنها تمد المتلقي باحتمالات الخطاب حتى يتبينها جميعا، ويميز بينها، ثم يختار ما يوافق قناعته. ومن أمثلة ذلك في الخطبة قوله – صلى الله عليه وسلم – من

[154] أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة ، ص 303.
[155] الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 353.

يَهْدِ الله فَلا مُضِلَ له، ومن يُضْلل فلا هَادي له " و " إن نسائكم عليكم حقا، ولكم عليهن حق "

5-3-3 السجـــــع :

وهو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، وأفضله ما تساوت فقرة نحو قوله تعالى :[في سِدْرٍ مَخْضُودٍ وطَلْحٍ مَنْضُودٍ وظِل مَمْدُودٍ] _ **الواقعة_28_** وما جاء في هذه الخطبة إنما ورد عفو الخاطر ذو تكلف أو قصد- كقوله –صلى الله عليه وسلم – :" ..... مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم "."وألا يوطئن فرشكم غيركم ،ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ."

إن ما تخلقه هذه الأساليب البديعية من إيقاع صوتي أثناء إلقاء الخطبة يشعر السامع بحركية تسود نص الخطبة، كما أنها تكشف عن مدى قدرات الخطيب اللغوية والخطابية.

ومن الأساليب التي تضمنتها الخطبة، ولو بشكل غير جلي، أسلوب الحوار الذي يعد أحد الركائز الأساسية التي يقوم عليها مبحث الحجاج، ونمثل له من الخطبة بقوله _صلى الله عليه وسلم_ (أَلا هَل بَلَّغت؟" اللهم اشهد.قالوا:نعم.قال فليبلغ الشاهد الغائب) وفي ذلك اطلاع الخطيب عليه الصلاة والسلام على مدى تجاوب مخاطبيه واعترافهم بتبليغ الرسالة وأداء الأمانة.

5-4: الجانب الدلالي:

بدأ الرسول – صلى الله عليه وسلم – خطبته بالحمد والثناء، فكان ذلك سننا مرسوما يحتديه جميع الخطباء بل إن الجمل الأولى من هذه الخطبة صارت محفوظة مشتهرة لكثرة ما يرددها الخطباء ولها مكانة في نفوس السامعين، وإن الثناء لله تعالى نثني عليه، ونطلب منه العون، ونرجو المغفرة والرجوع إليه، ونلجأ إليه تعالى من وساوس أنفسنا، ومن دنايا أفعالنا فإنه تبارك وتعالى يحفظ من هداه، فلا سبيل إلى ضلاله.

وهذه الافتتاحية تعبر عن حقيقة الإسلام ومضمونه.

إنه قال الحمد لله **ولم يقل أحمد الله أو نحمد الله.**

إن القول:" أحمد الله" أو " نحمد الله" مختص بفاعل معين ففاعل أحمد هو المتكلم وفاعل نحمدهم هم المتكلمون في حين أن عبارة " الحمد لله" مطلقة لا تختص بفاعل معين وهذا أولى فإنك إذا قلت " أحمد الله" أخبرت عن حمدك أنت وحدك ولم تفد أن غيرك حمده وإذا قلت " نحمد الله" أخبرت عن المتكلمين ولم تفد أن غيركم حمده في حين أن عبارة " الحمد لله " لا تختص بفاعل معين فهو المحمود على وجه الإطلاق منك ومن غيرك.

وقول " أحمد الله" جملة فعلية " والحمد لله" جملة اسمية والجملة الفعلية تدل على الحدوث والتجدد في حين أن الجملة الاسمية دالة على الثبوت وهي أقوى وأدوم من الجملة الفعلية. فاختيار الرسول – صلى الله عليه وسلم – الجملة الاسمية أولى من اختيار الجملة الفعلية، إذ هي أدل على ثبات الحمد واستمراره، فقولنا" الحمد لله " معناه أن الحمد لله حق يستحقه لذاته ولو قال " أحمد الله" لم يدل ذلك على كونه مستحقا للحمد بذاته ومعلوم أن اللفظ الدال على كونه مستحقا للحمد أولى من اللفظ الدال على أن شخصا واحد حمده .

"أيها الناس: اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا ،بهذا الموقف أبدا" نداء في مكة و هو نداء قريب إلى النفوس، إذ استغنى عن أداة النداء "يا"و غيرها تحقيقا لهذا القرب والتلاحم ،مع أبناء الأمة الذين زالت الهوة بينهم وبين معلمهم وهاديهم.

إن حذف أداة النداء قد حقق هذا القرب والتلاحم،فكأن الناس قريبون إليه يناديهم بأرق النداء وأعذبه ليستميل قلوبهم إلى ما يلقى عليهم من حسن التوجيه وسديد الإرشاد.

ويا للنداء وضع في أصله لنداء البعيد،بدليل أنهم عدوا الأداتين"الهمزة وأي "للقريب.

ومن الواضح أن يكون حذف أداة النداء دالا على قرب المنادي للمنادى ،والالتصاق به والتحبب إليه،إلا أن حذف الأداة هنا جاء على الحقيقة والحال وليس عدولا عنها تنزيها من الرسول_ صلى الله عليه وسلم_ للمسلمين عن السهو والغفلة ،وذلك يدعونا إلى القول أن المنادى ممن سها أو غفل.

"**اسمعوا قولي**" اسمعوا فعل أمر، وللأمر وجهتان في التعبير البلاغي: حقيقي و مجازي، وللمجازي أغراض متعددة.

فالأمر الحقيقي: صيغته موضوعه لطلب الفعل استعمالا، لتبادر الذهن عند سماعها.أما صيغة الأمر المجازي فقد تستعمل في غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام.

ويمكن القول أن الأمر في هذا الموضع مجازي، وذلك بدلالة الاستهلال الرقيق، فلا يسوغ أن يكون النداء يحمل في تضاعيفه من معاني التودد والتلطف ثم يبعثه مباشرة بما يدل على الأمر خشية أن يقع ذلك من نفوس سامعيه موقعا لا يرتضيه.

إن المعنى المجازي من خلال صيغة الأمر هو لفت الأنظار وتوجيه النفوس أو تثبيت الجمع المخاطب إلى ما يعرضه عليهم من توجيهات.

" **فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا** "

فهنا الرسول – صلى الله عليه وسلم – يتحدث حديث مودع محب مخلص ناصح يريد الخير لأمته من بعده، فقد شعر الرسول – صلى الله عليه وسلم بأن حياته قد انطوت وأيامه قد انتهت، لأنه أدى ما عليه ، وأقام دينه العظيم يؤدي فعالياته في توجيه الإنسان وإقامة سلوكه.

فإذن لا بد له " صلى الله عليه وسلم، من الرحيل عن هذه الحياة، فقد كانت هناك إنذارات متوالية تدل على ذلك، وهي كمايأتي:

أولها: أن القرآن الكريم نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم– ، مرتين فاستشعر بذلك حضور الأجل المحتوم ، وأخذ ينعى نفسه، ويذيع بين المسلمين مفارقته لهذه الحياة.

ثانيها:إنه نزل عليه الوحي بهذه الآية الكريمة:[**إِنَّك مَيت وَإِنَهُم مَيتُونَّ]_الزمر_30_** وكانت هذه الآية إنذارا له عليه الصلاة والسلام بمفارقة الحياة.

ثالثها: إنه نزلت عليه سورة النصر، فكان عليه الصلاة والسلام يسكت بين التكبير والقراءة ويقول: " سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه" ففزع المسلمون وذهلوا وانطلقوا إليه يسألونه عن السبب، فأجابهم عليه الصلاة والسلام :" إن نفسي قد نعيت إلي" وكان وقع ذلك عليهم كالصاعقة، فلا يعلمون ماذا سيجري عليهم إن خلت هذه الدنيا من النبي عليه الصلاة والسلام.

رابعا: إن الحدث الأهم في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – هو وفاته عليه الصلاة والسلام ، لأن وفاته – صلى الله عليه وسلم – ليست كوفاة سائر الناس، ولا كسائر الأنبياء؛ إذ بموته – صلى الله عليه وسلم – انقطعت النبوات، وانقطع خبر السماء ووحي الله عن الأرض.

" **فإني لا أدري ....**" ... إن من أدوات التوكيد، وهي كثيرة الورود في الخطبة لما لها من أهمية كبيرة ، وتعتبر من مؤكدات مضمون هذا القول الذي يوحي بأن الرسول– صلى الله عليه وسلم – قد وقف وقفة الوداع، فأراد أن يقرر حقيقة رحلة الإنسان من حياته الدنيا، فهو لا يدري متى سيكون رحيله.

وقد جاء الرسول – صلى الله عليه وسلم – بصيغة التوكيد لأجل يرسخ الفكرة في الأذهان بأنه يجهل حقيقة الأمر لما يخالج نفوس المسلمين من أن الرسول عليه الصلاة والسلام يعلم بذلك ، فالله وحده الذي يقرر.لذلك لم يشأ الرسول– صلى الله عليه وسلم– أن يجعل المسلمين في دوامة الاضطراب والقلق خشية أن ينفرط شملهم ويصيبهم من الذهول مالا يرتضيه لهم.

والملاحظ في استخدام "إن" أنها جاءت في عقب جملة سابقة فقد كان مجيئها ضربا من ضروب التوثيق بين الجملتين.

ويقال أنها " وتجئ- أي إن – للربط بين جملتين لتوصل أحداهما بالأخرى، فتراهما بعد دخولها كأنهما قد أفرغا في قالب واحد"[156].

ويرى الزملكاني أنه يسع المتكلم أن يأتي بالفاء مكان" إن" ولكن لا تؤدي مؤداها من قوة الربط والتوكيد والامتزاج.

" **لعلي لا ألقاكم**": لعلي أداة الترجي، ولم تحظ هذه الأداة بعناية البلاغيين بقدر ما حظي غيرها من أساليب التعبير كالأمر، والاستفهام والنهي والتمني المعروفة في الإنشاء الغير الطلبي.

والمعنى الأساس للأداة " لعل" هو الترجي- ولو تتبعنا دلالاتها المجازية لوجدنا نها تخرج إلى معاني أخرى، وربما كان التقرير أو التمويه أو التمني من جملة دلالاتها.

لكن المقصود من توظيف لعل في الخطبة ليس هو الترجي بل هو تقرير وإشعار بِدُنُوِ الأجل، فالرسول – صلى الله عليه وسلم –، أراد أن يجعل الأمر مرهونا بالآجال التي قرر أنه لا يدري مواقيتها ترد بعد ذلك الحقائق التي أراد الرسول – صلى الله عليه وسلم- أن يغرسها في نفوس المسلمين على أنها أحكام للحياة لا تحتمل تأويلا ولا تقبل حيدة أو جنوحا، فجملة ما واجب به المسلمين وردت بصيغة التوكيد الحقيقي.[157]

فالاهتمام بالشيء وانفعال النفس به يستوجب ضربا من تأكيده، أمرا أو نهيا أو خبرا يستلزم طلبا أو خبرا يقع في الجواب[158].

ولقد ذهب البلاغيون إلى أن استخدام أداة التوكيد واحدة ضمن العبارة هي لحسم التردد والشك في القبول والتلقي.

وقد يخرج استخدام الأداة في غير هذا الموضع مراعاة لغير الظاهر.

---

[156] كمال الدين الزملكا ني: البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تع، أحمد مطلوب ،خديجة الحديثي، ص: 156.

[157] جليل رشيد فالح : خطبة الوداع دراسة بلاغية تحليلية، مجلة آداب الرافدين ،العدد 2007،13ص:414

[158] عز الدين علي السيد: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، دار الطباعة المحمدية ،الأزهر، القاهرة ، 1973م، ص:73.

إن أداة التوكيد تقيد توثيق الأمر وضمان حسن تلقيه وأثره في نفس المتلقي ، كما أنها إشعار بأهمية الأحكام المعروضة ضمانا لحشد الطاقات النفسية والاجتماعية لاجتثاث ما علق بالنفوس والواقع المعيش من آثار وقيم نسخها الدين الإسلامي.

والتكرار كذلك، إشعار بأهمية الأمر وإعظام لشأنه في قوله عليه الصلاة والسلام : " كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا" نلمس تكرار " هذا" في نهاية كل مقطع، مما أضاف إيقاع لفظي زاد من جلال التوكيد جلالا، كما أنه يحفز النفوس، ويجعلها تستوعب القضية بكل أبعادها النفسية والفكرية، وهذا " على جانب من التنغيم النافذ إلى الروح ندركه دائما في حسن جرسه وتعانق معانيه وتتابع موجاته، يدفع بعضها في نشاط وتشابه"[159] " **وقد بلغت**" : في هذا المقطع أكثر من دلالة بلاغية.

1.استخدام " قد" مفيدة التحقيق، وهو لون آخر من ألوان التوكيد التي تحفل بها كظاهرة معنوية موظفة للتبليغ ولفت الأنظار نحو الأحكام النبوية.

2.حذف المفعول به، ويقول عبد القاهر الجرجاني في هذا الشأن:

-بلاغة الحذف: " هو باب دقيق السمك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فتلك ترى به ترك المذكور أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبَيَّن"[160] .

إن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد استغنى عن المفعول به لعمومه ودلالة ما سبقه عليه من جهة، ومن جهة أخرى فإن اهتمامه بالفعل هو المراد، أي أنه عليه الصلاة والسلام أشهدهم بأنه قام بالتبليغ.

3. ورود المقطع بالصيغة الخبرية، فالرسول – صلى الله عليه وسلم– لم يجد معه حاجة إلى التماس الأساليب الإنشائية – في تجاوب المسلمين – التي تساق غالبا في مواضع بها حاجة إلى استثارة الهمم وقرع النفوس.

[159] عزالدين علي السيد :الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ، ص: 265.
[160] عبد القادر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: أحمد مصطفى المراغي، القاهرة، ص: 98.

4. ومن أساليب التوكيد التي وردت في غضون هذه المقاطع:

" إِنَّ دِمَائَكُم وأَموالكُم عليكم حَرَام".

" ولَكِنْ لَكُم رُؤُوسَ أَمْوَالِكُم" .

ففي المقطع الأول تقدم الجار والمجرور (عليكم) على خبر إن، وهو في عرف النحاة فضلة من حقها أن تتأخر، ولكن له في الخطبة تقدم ملموس ظاهر، هذا التقدم أكسب العبارة جمالية محببة إلى النفس من خلال توالي : دمائهم – أموالهم– عليكم – فهو " التقديم " وإن خلا من الفائدة المعنوية فإن الجانب الجمالي يظل هدفا من أهداف البلاغة النبوية.

أما المقطع الثاني " ولكن لكم رؤوس أموالكم" فإنه اشعار إلى أن ما كان غير محذور يعود إلى أصحابه؛ فرؤوس الأموال حق مشروع من حقوقهم، من أجل أن لا يظنوا أنهم سيضيعون كل شيء، بعث في نفوسهم الطمأنينة من خلال" لكم " وهو خبر مقدم، فالخبر هو الأهم في أن يذكر أولا، فإن تقدمه باعث على الطمأنينة وراحة البال .

" **وإنكم ستلقون ربكم** " :

إن الفعل " ستلقون" في الجلمة مصدر بسين الاستقبال، وهذه السين قد حققت إحساس السامع بقرب هذا اللقاء، وقد عدل البيان النبوي عن سوف باعتباره حرف استقبال ولكنه يدل على تحقق الفعل بزمن أبعد، وربما كان في استخدامه في ظاهر الحال أكثر دلالة على السين إلا أن "السين " فيها من دلالة القرب ما يشعر أن الأمر واقع لا محالة.

" **فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليه**":

إن الأمانة مسؤولية عظيمة، وحمل ثقيل، فعلى الإنسان أن يتحمل مسؤوليته ، وأن يؤدي أمانته ولقد أمر الله تعالى بأداء الأمانة فقال :[**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُم أَنْ تُوَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**]_النساء_58_ وقال تعالى أيضا :[**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَمَاوَاتِ وَالأَرْضِ والجِبَال فَأَبَينَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وأَشفقن مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسَانُ إِنه كَانَ ظَلُومًا جَهوُلا**]_الأحزاب_72_

" **فَلْيُؤَدَّهَا** ": وهو فعل مضارع مجزوم بلام الأمر جاء جوابا لشرط لا يحتمل إلا هذه المباشرة التي وضحت الحكم بكل أبعاده.

فالأمانة ينبغي أن تؤدى وإذا لم يكن هناك سبيل إلى غير ذلك فلا مناص للمخاطب إلا أن يفعل.

" **تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ** "

" **قَضَى الله أَن لاَ رِبا** "

والملاحظ على هذه المقاطع أنها خالية من أدوات التوكيد، مع أن مقتضى الظاهر أن تتصدر بها، لأن مضامينها ليست أقل أهمية من مضامين تلك الجمل المؤكدة التي تكتنفها.

ولكنه يمكن الاستغناء عن أدوات التوكيد في عرف البلاغيين وذلك لأمرين: إما أن المتكلم ينزل المتردد أو المنكر منزلة خالي الذهن، لأن الموضوع مما لا يحتمل شكا أو إنكارا، وأما أن المخاطب خالي الذهن، أي أنه غير متردد في قبول الحكم، أو غير منكر له حتى يتطلب أداة للتوكيد.

ففي المقطع الأول: وكأن الله تعالى جعل انتفاء ظلم المؤمن لأخيه المؤمن في معيار الإسلام أمرا لا مشاحة فيه.

وقوله – صلى الله عليه وسلم – :" **قَضَى الله أنَه لا رِبا**".

إن مادة كلمة الربا الواردة في القرآن الكريم هي " رب و " تدل على معنى الزيادة والنمو والارتفاع والعلو ومنه قوله تعالى:[**فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّت ورَبت**]_الحج_05_

ومن هذه الكلمة نفسها كلمة الربا المراد بها زيادة المال ونموه على رأس المال الذي أشارت إليه الآية صراحة في قوله تعالى:[**وَمَا ءَاتَيْتُم مِن رِبَا لِيَرْبُو فِي أَمْوَال النَاس فَلا يَرْبُو عِنْدَ الله**]_الروم_39_

نلاحظ أن في هذا المقطع – قضى الله أنه لا ربا " توكيدا ضمنيا يوحي به عموم العبارة، فهل يفهم من الفعل " قضى" غير الأمر الجازم، وهل يفهم من قوله " لا ربا" بهذا النفي غير أن يكون الحكم حاسما لا خلاف فيه.

" **أيها الناس فإن الشيطان قد يَئِس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا (...) فاحذروه على دينكم**" :

المراد بقوله – صلى الله عليه وسلم – :التحذير من الشيطان، فإنه يئس من المؤمن لكنه رضي باليسير من المحقرات التي نظن أنها بسيطة، وهي في الحقيقة مدخل للشيطان إلى القلب فيفسده ويهلك الإنسان بعد ذلك.

وإن إيقاع الإنسان في الشرك بالله تعالى هو أعظم غايات الشيطان؛لأنه يعلم أن الله لا يغفر للمشرك إذا مات على شركه، وفي ذلك يقول عز وجل:[**إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**]_النساء_48_

" **أيها الناس إنما النسيء زيادة في الكفر ...**" :

فـــــ " النسيء " هو ما كان أهل الجاهلية يستعملونه في الأشهر الحرم وكان من جملة بدعهم الباطلة : أنهم لما رأوا احتياجهم للقتال في بعض أوقات الأشهر الحرم رأوا أن يحافظوا على عدة الأشهر الحرم– أي إنهم التزموا بعددها –أربعة – ولكنهم تلاعبوا بتوقيتها وتأخير بعضها واستبداله بغيره تحريما وتحليلا من عند أنفسهم– تلك الأشهر التي حرم الله القتال فيها. فهذا – كما أخبر الله عنهم أنه زيادة في كفرهم وضلالهم، ذلك أنهم ابتدعوه من تلقاء أنفسهم وجعلوه بمنزلة شرع الله ودينه والله ورسوله بريئان منه ، كما أنهم قلبوا الذين ؛ فجعلوا الحلال حراما والحرام حلالا، وموهوا على الله بزعمهم وعلى عباده ولبسوا عليهم دينهم واستعملوا الخداع والحيلة في دين الله.

" **أيها الناس، اتقوا الله في النساء (...) واستوصوا بالنساء خيرا ...**" :

أوصى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خيرا بالنساء وأكد في كلمة مختصرة وجامعة القضاء على الظلم البائد للمرأة في الجاهلية كما تحدث عن تثبيت ضمانات حقوقها وكرامتها الإنسانية التي تضمنتها أحكام الشريعة الإسلامية .

فالمرأة في الإسلام بمثابة الدرة المصونة،واللؤلؤة المكنونة ،وهي شقيقة الرجل وشريكته، والمكملة له في جميع نواحي الحياة، قال تعالى :[**هُوَ الذِيْ خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَة، وَجَعلَ مِنْهَا زوْجَهَا]_الأعراف_189_**

وقال أيضا:[**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة، ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**]_الروم_**21**_ ويكفي كذلك ما أمر به الإسلام من الإحسان إليها.

" **فلا تَظْلِمَّن أَنْفُسَكُم** ": وكان يسعى– صلى الله عليه وسلم – أن يقول: فلا تظلموا أنفسكم، ولكن نون التوكيد هي بمثابة أداة القرع للنفس خشيته أن تغفل فتضل.

ثم أعقب ذلك بصيغة إنشائية: **اللهم هل بلغت ...** والصيغة المعتمدة هي الاستفهام ليستوثق من يقظة المسلمين وتجاوبهم فيسمع منهم الجواب الذي يبعث في نفسه الطمأنينة.[161]

فقد عدل الرسول – صلى الله عليه وسلم– عن الصيغة الإخبارية على النحو الذي ورد في أول الخطبة " **وقد بلغت** " لكي يأتي التقرير أشد في النفس ، وأدعى إلى الطمأنينة فهنا الاستفهام مجازي خرج إلى التقرير والتثبيت، أما ما يتصل بجمهور سامعيه فهو الاستفهام بمعناه الحقيقي الذي كان إجابته " **اللهم نعم**" " وحقيقته طلب الفهم بألفاظ معروفة. والمطلوب فهمه إن كان حكما بشيء إثباتا أو نفيا " [162] على عكس الاستفهام المجازي فهو لا يحتاج إلى جواب لأنه ليس من قبيل طلب حصول الفهم.

[161] جليل رشيد فالح: خطبة الوداع دراسة بلاغية تحليلية، ص: 424.
[162] الخطيب القزويني: التلخيص في علوم البلاغة ، شرح وتحقيق، عبد الرحمن البرقوني، دار الفكر العربي، ط1، 1904م ص: 153.

إن هذا الاستفهام " **وهل بلغت** " عزز الحالة النفسية للرسول – صلى الله عليه وسلم – وجعله يثق بأنه أدى أمانته كاملة.

6- الملامح التخاطبية عند الأصوليين:

تعتبر القصدية من أهمّ المرتكزات التي يتوكّأ عليها الخطاب الديني بوصفه خطابا ذا صبغة قداسية تحمل ملامح تخاطبية يقرّرها الأصوليون في منهجهم التخاطبي.

فالنظرة الشمولية للنص الديني مطلب لا بدّ من تحقّقه في إطار فهم شامل و واع للخطاب الديني سواء كان القرآن الكريم أو الحديث الشريف.

وتعد الخطبة النبوية النموذج لخلق فعاليات التلقي لدى الجمهور وذلك من خلال الكيفية التي قرأ بها جمهور المتلقين خطبة الرسول الكريم_صلى الله عليه وسلم_يوم ألقاها فيهم إضافة إلى الأسس التي بنى عليها الرسول _صلى الله عليه وسلم_محاور خطبته الغراء؛الأفكار التي حوتها الخطبة[163]

مما يحول دون ترتيب الخطبة التي تعددت موضوعاتها و اختلفت من حيث المضمون و المحتوى إلا أنه تصبّ كلّها في معين واحد هو : التشريع الإسلامي وتنظيم العلاقات بين الأفراد في سبيل بناء مجتمع إسلامي ، راسخ القواعد، ثابت الأركان ، متين البنيان ، لا تؤثّر فيه التيارات ، و لا تزعزعه الفتن و المحن ، يتسلّح فيه الناس بدستور لا نظير له ، يحقّق العدل و الخير ، و يثبّت الحقّ و يعضده ؛ إنّه دستور أساسه كتاب الله تعالى و سنّة نبيّه عليه الصلاة و السلام.

تستوجب منا الدراسة و التطبيق على هذا النصّ الديني المقدّس أن نعترف بأنه خطاب يحتوي حجّته في ذاته إذ الحديث عن حجّة الوداع و الخطاب الحجاجي حديث عن الأمر و ذاته و ما يكتنفه من قصديّة ترتكز على مختلف الأدلة و الحجج ، و الأسلوب الراقي مع الفصاحة و التميّز في الأداء و الإلقاء بالصوت و الحركة.

[163] وردة مسيلي : ملتقى جماليات التلقي في الخطاب النقد العربي، قالمة، 2013م ص.07

و لا بدّ أن نسجّل هنا بأنّ الرسول (صلى الله عليه و سلم) في هذه الخطبة قد رسم غايات و مقاصد قصوى تفصيلية حيث وضع الخطوط العريضة للاتصال بالناس في إطار أهداف تستلهم جوهرها من المنهج القرآني الكريم ؛ إذ يعتبر تحديد الأهداف من مقوّمات الإقناع بالخطاب لذا كان ارتباط الأهداف بالرسالة الموجّهة أمرا ضروريا لأنّ موضوع الخطاب لا بدّ أن يتناسب طرديا مع الهدف الذي يتّجه إليه الاتصال و إلاّ غدا شكل الرسالة أو الخطاب غامضا و مشوّشا يستحيل معه تحقيق الأهداف ومع هذا فإنّ بعض الدراسات تؤكّد أنّه ليس بالضرورة إعلان الأهداف كلّها بتفصيلاتها و الاكتفاء في التصريح بالأهداف العامّة المجملة و ذلك مراعاة لمقتضى حال المتلقي فهو عندما الاكتفاء في التصريح بالأهداف العامة، يدرك عزم المرسل على إقناعه بالكشف عن أهدافه كلّها و يشعر بأنه يملي عليه شيئا ما فيرفض الرسالة، و لهذا كانت الدعوة إلى ضرورة الاهتمام بالأهداف و مرونتها قصد استيعاب المتغيّرات التي تطرأ على العملية الإبلاغية التي تحتوي أهداف التربية و التعليم و التنشئة الدينية و الفكرية و الثقافية التي ترتقي بالمجتمع نحو: ترسيخ عقيدة الإيمان، تحقيق السيادة لشرع الله، الوصول إلى مجتمع الطهر و النقاء.

ولعلّ هذا ما كان الرسول الكريم ينشده من خلال خطبته القائمة أساسا على ركيزة الفكرة الثابتة و المنهاج القويم من خلال الأفكار و المعاني التي تطرحها في مضمونها الذي يعتمد على تقرير الحقّ بالحجّة و البرهان.

أمّا صوغ الخطاب فيتمثّل في اختيار الرّموز ذات الدلالة الفعّالة في الإقناع بالرسالة التي يشترك فيها كلّ من المرسل و المتلقّي و قد تكون غالبا لسانية أو ما فوق المقطعيّة و تشترك فيها الرسوم البيانية و الكاريكاتورية ، و الحركيّة و الإشارية و غيرها...و عليه يقوم وضوح الرسالة و تبتعد عن الغموض و الإغراق في الرّمزية التي تحمّلها أكثر من معنى و تلج بها مغاليق التأويل فيظهر ما يعرف بالتشويش الدلالي الذي يعتبر من معوّقات الإقناع.

أمّا الخطاب النبوي من خلال حجّة الوداع فقد اتّسم:

-بالوضوح المولج إلى إقناع البعيد قبل القريب، و قد وعى الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وضوح الرسالة و فعاليتها في عملية الإقناع حيث جاء في مقدّمة صحيح الإمام مسلم عن ابن مسعود (رض) [164] قال: " ما أنت بمحدّث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة".

-الشرح و التوضيح الوافي : فالخطاب يحتاج إلى تركيز الشرح و تقوية التوضيح لغرض الإقناع بالقول الثابت لذا كان من أهمّ خصائص أساليب الخطاب التواصلي النّبوي التكرار لتثبيت الفكرة و ترسيخ المعنى و قد سبقت الإشارة إلى أنّ خطبة الوداع كان لها أكثر من رواية .

-العرض المناسب: حيث تتنوّع أساليب العرض بحسب طبيعة الرسالة و طبيعة الأداة المساعدة لنقلها و تأسيسا على ذلك يستلزم من المرسل اختيار كمّ المعلومات و نوعها و ترتيبها مراعيا ما يأتي:

-التسلّح بالدّليل و البرهان و الحجج القويّة الدّامغة التي تختلف فيها مصادر الاستشهاد باختلاف الجمهور المستهدف ففي خطبة الصفا مثلا كان الرسول الكريم)صلى الله عليه و سلم) يستهدف جمهورا لا يقيم للوحي وزنا و لذلك لم يستشهد بالآيات الكريمة و إنّما أقام عليهم الحجّة بما يلائم منطقهم و ما تسلّم به عقليتهم من أنّ الرسول الكريم (صلى الله عليه و سلم) هو الصادق الأمين و الحكم ، العدل و هذا دليل عقلي.

أما في خطبة الوداع فقد خاطب الرسول الكريم (صلى الله عليه و سلم) جمهور المتلقّين و هم جماعة المسلمين و ساق لهم الأدلّة و الحجج و البراهين المعزّزة للمواقف من الكتاب أي الوحي و القرآن الذي يعدّ الاستشهاد به من قبيل الاستدلال القطعي المفيد لليقين القاطع للظنّ.

[164] أخرجه الإمام مسلم، ج1، ص :11

فالترتيب في الخطبة ضمّ تسلسل أجزائها و ترابط فقراتها و وحداتها حيث توفّرت على[165]:

الاستهلال أو المقدّمة: و هو بدء الكلام، وبه تفتتح السبيل لما يتلو و قد افتتح الرسول الكريم خطبته بحمد الله و الثناء عليه و استغفاره و التوبة إليه و الاستعادة من شرور النفس و سيئات العمل و نقائصه مقترنة بالشهادتين و توصية المسلمين بعبادة الله و طاعته، و هو أمر لم تألفه العرب ، فأصبح نهجا واضحا و مسلكا متّبعا ، يسير عليه المسلمون في خطابتهم. حيث رُوي عنه _صلى الله عليه و سلّم_ : كلّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع.

أما عبارة " أمّا بعد" فهي من الأساليب التي ألفها العرب و أصبحت ركنا أساسا من أركان الخطابة عندهم ، و تعني : بعد دعائي لك، و تقدير الكلام : أما بعد حمد الله فكذا و كذا وينتقل بموجبها إلى الغرض المقصود لذلك سُمّيت بفصل الخطاب لفصلها الكلام التالي[166]: عن المتقدم و عنها يقول صاحب خزانة الأدب: " أمّا بعد : مقول القول ، فهي كلمة يبتدئ بها كثير من الخطباء و الكتّاب كلامهم ، كأنّهم يستدعون بها الإصغاء لما يقولونه" ثمّ أردفها بقوله (صلى الله عليه و سلم) : " أيها الناس ، اسمعوا مني أبيّن لكم فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا" و هو ضرب من التنبيه أتى بصيغتي النداء و الأمر الغرض منه استمالة القلوب و العقول إلى أهميّة ما سيأتي في العرض.

-**العرض و الدّليل :** و فيه يتمّ تقديم القضايا المرجو طرحها ثمّ إثباتها بالحجج المثبتة حيث ينبغي البدء بالعلل القويّة و إتباعها بالأدلّة الضعيفة [167]فقد خطب الرسول ليُعلم الناس بحرمة يوم النحر ، وفضله عند الله و حرمة مكّة على سائر البلاد، و يأمرهم بالسّمع و الطّاعة لمن يؤمّهم بكتاب الله ، ثمّ ليأخذوا مناسكهم عنه (صلى الله عليه وسلم) أسمع الناس حتى سمعها أهل منى في منازلهم. و قال : (لعلي لا أحجّ بعد عامي هذا . و أمر بالتبليغ عنه و قد فتح الله له و قد رامت الخطبة تقرير قواعد الإسلام ، و هدم عادات

[165] أرسطو: الخطابة، ص: 230.
[166] عباس أرحيلة :مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي،مراك،ط2003،1،ص:99
[167] رولان بارت :البلاغة القديمة،ترجمة عمر أوكان،إفريقيا الشرق،1994،ص:144

الشرك و الجاهلية فقرّر فيها (صلى الله عليه وسلم) تحريم المحرّمات و هي: الدماء ، و الأموال ، و الأعراض ، و وضع فيها أمور الجاهلية تحت قدميه ، و أمر بإرجاع الأمانات إلى أهلها و أصحابها ، و وضع فيها ربا الجاهلية كلّه و محقه. كما أوصى الرجال بالنساء خيرا و عدّد ما لهنّ و ما عليهنّ ، كما أوصى الأمّة بالاعتصام بكتاب الله و الاحتكام إليه ودعا إلى التآخي مع التزام تقوى الله ، و أخيرا استنطق الناس جميعا بماذا يقولون و بماذا يشهدون فقالوا : نشهد أنّك قد بلّغت ، و أدّيت ، و نصحت ، فرفع إصبعه إلى السماء و استشهد الله عليهم ثلاث مرّات ثمّ أمرهم أن يُبلّغ شاهدهم غائبهم.

وفيها يُشعر الخطيب جمهور المتلقين بأنّ الخطبة قد انتهت و قد أنهى الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) خطبته هذه بالسلام بقوله: " و السلام عليكم و رحمة الله" و هو أمر لم يكن معهودا عند العرب، و هي شعار المسلمين و تحية الملائكة و تحيّة أهل الجنّة.

و لا يخفى ما في العبارة من معاني الراحة النفسية و الشعور بالاطمئنان و الخلود إلى الأمان حيث تتفجّر ينابيع الحبّ في القلوب، و تتوثّق عرى العلاقات الطيّبة، و تحكمُ وشائج التقارب و التصافي بين الأفراد و الجماعات

ويمكننا أن نعتبر عبارة " ألا هل بلّغت ؟ اللهمّ اشهد " إثر الانتهاء من كلّ فكرة من الأفكار المطروحة خاتمة لها ، و هو إشهاد للمخاطبين على أنفسهم.

الابتعاد عن المواجهة بالمجادلة: حيث إنّ المتلقّي ينفر من الخطاب الذي يتعارض و آراءه و يناقض أفكاره، و غالبا ما تكون المجادلة المنطقية مخاصمة و مشاحنة يضعف معها الإقناع . و قد أتبع الخطاب الديني الحكمة بالحسن في قوله تعالى:

[ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة و الموعظة الحسنة، و جادلهم بالتي هي أحسنُ] - النحل_125

فقد اكتسب مفهوم المجادلة في الفكر الإسلامي بعدا أخلاقيا يبتعد عن مجادلة المناطقة ذلك أنّ من الأحرى و الأنسب في عملية الإقناع الولوج بالرفق و اللين سيما إذا كان الهدف من الخطاب هو دعوة المتلقين إلى الدخول في دين الله.

الوسيلة المناسبة: وسائل الخطاب النبوي مختارة بحيث تساعد في بلوغ المقاصد النبيلة و الغايات السامية التي تتّسم بقوّة الفاعلية في عملية الإقناع ؛ و مهما كانت وسيلته _صلى الله عليه وسلم_ بسيطة في خطبة الوداع إلا أنّها بلغت غايتها حيث اعتلى _صلى الله عليه وسلم_ ظهر ناقته القصواء ، و كان له مناد يردّد ما يقوله و كأنّه مكبّر الصوت و لذلك عدّت خطبة الوداع من قبيل الاتصال شبه الجماهيري لأنّ الرسول الكريم _صلى الله عليه وسلم_ كان يخاطب الأجيال من خلال أهل الموقف في عرفات فأشهدهم على اكتمال رسالة الإسلام ؛)(اليوم أكملت لكم دينكم ، و أتممتُ عليكم نعمتي ، و رضيتُ لكم الإسلام و المتتبّع لخطب الرسول الكريم _صلى الله عليه وسلم_ يجده يدرك قيمة الوسائل التخاطبية في عملية الإقناع فهو يؤثر في الاتّصال الجماهيري شكله الشخصي لما له من قيمة تأثيرية مباشرة و قويّة، و هذا ما أثبتته الدراسات الحديثة حيث يعود " التفاوت في المقدرة الإقناعية بين أشكال الاتصال إلى التفاوت في طبائعها و خصائصها المتباينة ، فالاتصال الشخصي أكثر تأثيرا من الاتصال الصناعيّ بالراديو، و الراديو أكثر تأثيرا من المواد المطبوعة، و التلفزيون[168] يقف في منطقة الوسط بين الاتصال الشخصي والراديو.

مراعاة مقتضى حال المتلقين:

يُصنّف المتلقي كركن أساس ثان ضمن ما يعرف بالبعد الإنساني في العملية الاتصالية، و هو المتأثر بعملية الإقناع ،و قد يذهب ضحيّة التلاعب بالألفاظ ذات الدلالات المشوّشة عندما تكون الرسالة غير نزيهة بينما يستفيد من الموقف الكلامي في حال الرسالة شريفة المقاصد ، و يختلف من حيث العدد فيكون فردا أو جمهورا يخضع لعملية التلقي التي تتطلّب استجابة ما تتحكّم فيها مجموعة من الدوافع الفيسيولوجية ،و الاجتماعية والنفسية السيكولوجية و البيئية و التاريخية و هذا ما يسوقنا إلى القول بعدم حتمية الاستجابة عند الإنسان حال اشتراكه في موقف خطابيّ [169]إذ تمثّل الجوانب السيكولوجية أثناء صوغ الرسالة أو استقبالها زاوية قائمة بذاتها قادرة على توجيه سلوك المتلقين نحو الاستجابة الصحيّة و مساهمة بذلك في تعديل قناعاتهم وفق الإطار المرغوب فيه.

[168] وردة مسيلي: ملتقى جماليات التلقي في الخطاب النقدي العربي.ص 11.
[169]ينظر عبد الحليم محمد السيد: علم النفس الاجتماعي والإعلامي،الدمام،دار الإصلاح،1979م،ص:27

وقد استلهم الخطاب النبوي كلّ هذه المرتكزات المنهجية في إطار رسم خطّة محكمة تستهدف الوقت و الجمهور المتلقي و المكان والزمان، و محتوى الرسالة، و شكلها، و أسلوب صوغها. لافتا الانتباه إلى تقنية تبادل الأدوار بين المتلقي و مصدر الرسالة بحيث يمكّنه ذلك من معرفة و الإحاطة بآليات التأثّر و التأثير في إطار الالتزام بنواميس الكون الشرعيّة التي تحقّق متّحدة الأهداف الإستراتيجية المسطّرة بإحكام و المرتبطة بمقاصد المجتمع الإسلامي و غاياته السامية و على رأسها رضي الله سبحانه و تعالى ، و أداء الأمانة و الوفاء بواجب البلاغ المبين؛ و قد اشتملت نهاية كلّ مقطع من فقرات الخطبة الغرّاء بتحقيق هذا المبدأ قولا :" ألا هل بلّغت " و فعلا في سلوكه – صلى الله عليه و سلّم – الخالدة آثاره في المجتمع الإسلامي الحقّ.

موقع خطبة الوداع من نظرية التلقي:

إن"نظريّة التلقي RECEPTION THEORY صدى لتطوّرات اجتماعية و فكرية و أدبية في ألمانيا الغربية خلال الستينيات المتأخرة ، تهتمّ هذه النظريّة بالقارئ ، و بما يثيره في النصّ بغضّ النظر عن النصّ و شخصيّة المؤلّف ،بل تركّز تركيزا كليا على كلّ ما يثير القارئ و الدور الذي يلعبه في إتمام النصّ الأدبي، و قد تبنّى هذه النظريّة الحداثية العالم المنظّر في حقل نظرية التلقي (ياوس) من خلال اهتمامه بتاريخ الأدب حيث بدأ عمله بنقد الاتجاهات الشائعة لدراسة تاريخ الأدب و التماس البدائل لها ؛ فانتقد المنهج الوضعي ، و انتقد الاتجاه إلى دراسة ما عرف باسم تاريخ الأفكار ، و انتقد مفهوم الانعكاس عند الماركسيين ، كما انتقص منهج الشكلانيين لتعلّقهم بجماليات الفن للفن، و يرى أنّ المنهج الجديد الملائم لدراسة تاريخ الأدب هو الذي يجمع بين الماركسية و الشكلانية ، و خرج من هذه الثنائية إلى عيّنة مصطلحية سمّاها " جماليات التلقي" حيث يتحوّل الاهتمام في دراسة الأدب من التركيز على منشئ العمل الفني ،و على عملية إنشائه إلى التركيز على القارئ أو المستهلك و تاريخ الأدب إنما يتشكّل من خلال ذلك الجدل القائم بين المؤلّف و الجمهور.

وهي دعوى خادعة كانت إفرازا واضحا لخلاصة المذاهب الفكرية التي لا صلة لها بالأدب و بمقتضاها يكون الأديب أو الكاتب إنسانيا عالميا في أدبه إذا انفصل عن

حتميات البيئة و مسلّماتها ، فربّما كانت الماسويه أسبق في الدعوة إلى النزعة الإنسانية بهذا المفهوم ، و كانت أكثر توقّحا في الإعلان عنها بالعبارة المشهورة : " اخلع عقيدتك على الباب كما تخلع نعليك" فلكي تكون ما سوي المذهب أو إنسانيا في أدبك فاخلع عقيدتك ، و الفرق بينهما كما يقول أحد المفكرين هو في وقاحة التعبير الماسوني و البريق الخادع في المصطلح الأدبي ، فربّما استهوى ببريقه الكثيرين من ذوي التطلّع المبهور إلى الفكر الغربي، و ربّما استمال إليه نفرا ممن تعاملوا مع كلمة إنسانية بمفهومها الأخلاقي.

وفي أثناء الحقبة التي انطلقت فيها نظرية التلقي برز من جانب أخر اتجاه فيه اهتمام متزايد من قبل علماء الاجتماع بموضوعات تتعلّق بالاتصال و قد أنهى كل من ياوس و كايزر أفكار النظرية بفقرات في الاتصال مما يؤكّد فكرة انشطار نظرية التلقي إلى فعل قرائي و آخر تواصلي إذ يعدّ هذا الأخير نشاطا مشتركا بين القارئ و النصّ، يؤثّر كل منهما في الآخر.

و مهما يكن من أمر هذه النظرية فإنّ قصورا ما يلحقها من حيث تركيزها المتزايد على القارئ في حين أنّ العمل الفني و الأدبي نسيج متكامل ، لا يمكن فيه إلغاء دور المؤلّف و ظروفه ، أو عمله و ما يحمله من إيحاءات . لذلك فإنّ العمل الأدبي يتطلّب نظريّة تعالجه بشكل أكثر جديّة و منطقيّة تلائم الواقع أكثر ، و لا تلغي أي عنصر من عناصر العمل الأدبي (المؤلّف، النصّ، القارئ ، يؤكّد الدرس النقدي الحديث فكرة مفادها أنّا الكثير الغالب في الاستعمال العربي هو استخدام مادّة التلقّي بمشتقاته.

فدلالة الاستعمال القرآني لمادّة التلقي مع النصّ تنبّه إلى ما قد يكون لهذه المادّة من إيحاءات و إشارات إلى عملية التفاعل النفسي و الذّهني مع النصّ ، حيث ترد لفظة التلقي مرادفة أحيانا لمعنى الفطنة و الفهم ، و هي مسألة لم تغب عن بعض المفسّرين في الإلماح إليها و خاصّة في مجال النصّ الخطابي[170].

يرى الدكتور طه عبد الرحمان أنّ الاجتهاد في العدول بالألفاظ عن معانيها الحقيقية و الأصلية يدخل فيما يُدعى بباب توسيع اللغة و قد رأى أنّ هذا التوسيع اللغوي لا يقي صاحبه السقوط في التشبيه الاضطراري ، و لا يمكّنه من ستر هذه العورة إذ لا يزيد

[170] روبرت هولب تر،عز الدين إسماعيل:نظرية التلقي،جدة النادي الأدبي 1426،ص 214.

عمل الناظر المؤوّل عن نقل علاقات التشبيه من مستوى المعنى الحقيقي إلى مستوى المعنى المجازي فضلا عن كونه قد يوقعه في التكلف و الابتداع و تحريف الكلم عن مواضعه[171].

فالرسول الكريم عندما ألقى خطبته في جمهور المتلقين لم يفصل هذا النص الخطابي عن متوقعات التواصل اليومي حيث أنتج خطابُهُ _صلى الله عليه وسلم_ بمحافظته على دلالاته السياقية الأصلية و المقامية المختلفة و المرتبطة بجمهور المتلقين- أفقا تواصليا يضمن استمرارية التأثير من خلال الوقوف على مقصدية الكلام إذ السياق يساعد على منح المتلقي أداة الفهم و التأويل من خلال رصد معايير معيّنة أوضح بعضها شيخ البالغة العربية عبد القاهر الجرجاني و منها معيار الغموض ؛ فمفهوم الغموض عند عبد القاهر الجرجاني يتمثّل في ضرورة اشتمال النصّ على فراغات تشكّل لدى القارئ غموضا ما ، و إنّه من مقوّمات العمل الأدبي الناجح كما أنّه يضفي أهميّة على دور القارئ في محاولات الكشف و الفهم فيتحقق له الشعور بالمتعة؛ و ملء الأماكن الفارغة في حدّ ذاته إبداع و مهارة[172].

أما خطاب الأصوليين فقد كان مدركا للنظريّة الإقتضائية و بتأمّل قول الشاطبي الذي له دلالة عميقة في سياق الاقتضاء و الإجمال. يقول :" فلا محيص للمتفهّم عن ردّ آخر الكلام على أوّله ، و أوّله على آخره ، و إذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلّف ، فإن فرق النظر فيه فلا يتوصّل به إلى مراده،فلا يصحّ الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دو ن بعض أجزائه" [173].وهو يسير في اتجاه الربط بين الوحدات المعجمية و ما يتّصل بمظاهر الحياة المختلفة و القاضية بهذا النوع من القراءة.

إنّ المعنى العميق الذي يستدعيه التأويل الذي قصده الله تعالى بقوله :لا يعلم تأويله إلا اللهو الراسخون في العلم لا يظهر في البنية السطحية للخطاب الديني ذلك لأن الخطاب لا يقدم المعنى تاما في مقطعه و إنما يكتفي برسم خطاطات توجيهية تساعد القارئ على

---

[171] ينظر طه عبد الرحمان : العمل الديني وتجديد العقل المركز الثقافي العربي ،الرباط المغرب ،ط2،1997.ص 171.

[172] ينظر عبد القاهر الجرجاني:أسرار البلاغة في علم البيان ، دار المعارف للطباعة والنشر بيروت لبنان ،1982، ص 150.

[173] أبو إسحاق الشاطبي :الموافقات في أصول الشريعة ،تصحيح محمد عبد الله الدراز،دار المعرفة بيروت ط2،ج3،ص413.

تفسيره في ضوء سابق النظم و لاحقه أو وفق حركة العودة من النهاية إلى البداية ،و من الكل إلى الجزء و هذه السمة من أهمّ ما ميّز الملامح التخاطبية عند الأصوليين فالنظرة الشمولية للنصّ تتحقّق عندهم إذ يرون أنّ الخطاب الديني سواء أكان قرآنا كريما أو حديثا شريفا ينبغي أن يعامل على انّه نصٌّ واحد مرتبط أجزاؤه ، و ينبغي ألا يُفسّر نصّ بمعزل عن بقية النصوص التي تتناول الموضوع مثل الحث على طاعة الوالدين و برّهما لا يمكن أن يُفسّر بمعزل عن حمل الطفل و ولادته و إرضاعه و تربيته...

الفهم السليم للخطاب إذ لا يُقاس بفهم معنى الجمل فقط ، بل بالإدراك السليم لمراد المتكلّم منه و هذا حرص منهم لبلوغ تفسير سليم لمراد الله و رسوله من القرآن و السنّة.

لا يمكن فهم النص دون استخدام القدرات العقلية و التخاطبية للمخاطب لأنّ اللغة مؤسسة على أمور مشتركة بين المتخاطبين مثل المعارف الإدراكية و الأعراف اللغوية.

فاللغة عند الأصوليين منظومة من الدلالات وليس هي منظومة من العلامات أي الدوال– كما هو حال البنيويين – ولهذا يتعيّن في فهم الخطاب الديني استحضار جملة من الملامح التخاطبية التي تعنى بتحليل الخطاب، و هي المذكورة سابقا فضلا عن الاهتمام بالقرائن المصاحبة للنصّ ومدى إكسابها إياه دلالاتها لمصنّفة بين القطع والظنّ.

والحديث عن لغة الخطاب الدين يجرنا كخاتمة مشوّقة لهذا الموضوع إلى استعراض بعض خصائص الأسلوب في خطبة الوداع ، و يأتي الأسلوب في المرتبة الثانية بعد البراهين عند أرسطو ، لأنّ الأسلوب هو الذي يتكفّل بنقل الأفكار، و لا يكفي أن تكون الأدلّة مقنعة ما لم تقدّم بأسلوب مقنع ، يجوّز مجموعة من العناصر التعبيرية و الفنية و الجمالية لأنّ عامّة الناس يتأثّرون بمشاعرهم أكثر مما يتأثرون بعقولهم ، فهو في حاجة إلى وسائل الأسلوب أكثر من حاجتهم إلى الحجّة ، فلا يكفي إذن أن يعرف المرء ما ينبغي أن يقول ، بل يجب أن يقوله كما ينبغي[174].

ولقد تزايد الاهتمام بمكوّن الأسلوب في الخطابة العربية إلى هيمنة الشعر الذي كان علم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه.

[174] محمد العمري :في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص:88

خـــــاتمة:

لقد أفضى البحث إلى جملة من النتائج التي سنوجزها في هذه الخاتمة:

-الحجاج هو أن تأتي بحجة تبطل بها رأي المجادل، وتثبت بالدليل صحة فكرتك لإقناعه.

-الحجج تكتسب قوتها من قوة مصادرها، فالقرآن الكريم باعتباره حجة جاهزة يحتل أعلى المراتب في السلم الحجاجي، لما يحتويه من إعجاز لغوي.

-ترتيب الحجج على السلم الحجاجي يختلف باختلاف المرسل أو المتلقي إذ يمكن أن يرتب كل منهما نفس الحجج بترتيب مغاير.

-الهدف الرئيسي للحجاج هو دفع المتلقي إلى تغيير أفكاره ومعتقداته وإقناعه بتغيير سلوكه.

-الخطاب اللغوي يتمكن من تقديم الحجج واستنباطها عن طريق الروابط الحجاجية وهذا راجع لخضوعه لقواعد اللغة.

-الخطاب يمثل وحدة تواصلية إبلاغية، ناتجة عن خطاب معين، موجة إلى مخاطَب معين، في سياق لغوي. وهو تواصل لساني ينظر إليه كإجراء بين المتكلم والمخاطب.

-الخطاب الحجاجي يعد الركيزة الأساسية في إيصال الأفكار، وتحقيق المقاصد بين المتكلم والمتلقي، وينبني وفق إستراتيجية لغوية خاصة به، تأخذ أبعادها من المجال الذي يستعمل فيه الحجاج، ومن السياق المحيط به.

-كان لإستراتيجية الإقناع بالحجاج حضور بارز في التراث العربي فقد كانت واضحة في القرآن الكريم وأقوال الرسول – صلى الله عليه وسلم – إضافة إلى الخطابات التي سبقت هذه الفترة.

-إن الدراسات التداولية تناولت الخطاب الحجاجي من حيث الطرائق والآليات التي تضمن نجاحه وفعاليته.

-اعتمد الرسول – صلى الله عليه وسلم- على تبسيط التعبير والبعد عن التكلف الذي يفسد نية المرسل في الإبلاغ والإبانة، وهذا سبب هام لتحقيق الإقناع.

-كان ولا يزال الإقناع من أهم الأهداف التي يتوخى المرسل تحقيقها معتمدا على أبرز الآليات اللغوية وهي آلية الحجاج.

-المغايرة بين الأسلوب الإنشائي والخبري، حرصا على إقناع المتلقين وتقرير الأفكار في نفوسهم، وحتى لا يكون الكلام كله على وتيرة؛ بحيث يحدد المتكلم نشاط السامعين لأن تنوع المعاني والألفاظ والأساليب يحقق التأثير المطلوب في المخاطبين.

-استعمل الرسول – صلى الله عليه وسلم – النزعة التكرارية :لأن التكرار المعنوي أو اللفظي يساهمان في توكيد الفكرة وإبلاغها وتقريرها في ذهن المتلقي، ولأن له وقع وأثر بليغ تنقاد له النفوس انقيادا وهذا غاية ما يطمح إليه الرسول – صلى الله عليه وسلم – .

-الإيجاز: لقد كان الإيجاز سمة غالبة على خطبة حجة الوداع، فقصر الجمل والفقرات يمكن المتكلم من نقل أفكاره إلى المتلقي بطريقة واضحة نفهم بسرعة وتخدم الهدف الأساس للخطبة وهو الإقناع والتأثير.

-الحجاج على مستوى البلاغة هو جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة وهي حمل المتلقي على الإقناع بما تعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع غايته الأساسية هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهيئه للقيام بالعمل.

-جملة الخطبة كانت توحي بالوداع، وقرب الفراق، لاسيما في تنبيهه – صلى الله عليه وسلم – على أصول الأحكام ومرتكزات الأمة، وكأنه في هذه الخطبة يوكل إلى الأمة القيام بعبء دولتهم ومجتمعهم ويخلي عهدته ليستلمها منه القادة الأفذاذ...

قائمة المصادر و المراجع

-القرآن الكريم.

أ -المصادر والمراجع:

1. أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تد حسن نجار محمد مكتبة الآداب القاهرة، ط2، 2005م.

2. أرسطو طاليس: الخطابة، تح عبد الرحمن بدوي،دار القلم بيروت، لبنان، 1979م.

3.أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،ضبط يوسف الصميلي المكتبة العصرية بيروت، ط1، 1999م.

4. جان سيرقوني: الملفوظية، ترجمة قاسم مقداد، منشورات إتحاد كتاب العرب دمشق، ط1، 1998م.

5. ابن جني: الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، لبنان، د ط 2000م ، ج1.

6.الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تح درويش الجويدي، د ط المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج1.

7.جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، د ط، دار غريب للطباعة القاهرة، 2000م.

8.جود هشام تاج الدين: الممتاز في معجم النحو والإعراب دار بغدادي للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 2007 م.

9.ابن هشام: السيرة النبوية: تعليق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي بيروت، ط3، 1410هـ، 1990م، ج4.

10. هنريش بليت: البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تح العمري محمد، إفريقيا الشرق، لبنان، المغرب،1999م.

11. الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل، دار الكتاب العربي، لبنان، د ط ، 1947م، ج4.

12. حافظ إسماعيل علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة عالم الكتب الحديث، إربد،الأردن،د ط، 2010م،ج4.

13. طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، الدار البيضاء ط1،1998م.

14. طالب سيد هاشم الطبطباتي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب،1994م.

15. طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط3،2007م.

16. طاهر درويش: الخطابة في صدر الإسلام، دار المعارف، مصر ط 2 1968م،ج1.

17. طه عبد الرحمن:العمل الديني وتجديد العقل،المركز الثقافي العربي،الرباط،المغرب،ط2،1997 .

18. كمال الدين البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تح أحمد مطلوب، خديجة الحديثي .

19. محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها إفريقيا الشرق، المغرب، د ط 1999م.

20. مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1 2005م.

21. محمد نظيف: الحوار وخصائص التفاعل الحواري، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية إفريقيا الشرق، د ط، 2010م.

22. محمد عبد المطلب: البلاغة العربية، قراءة أخرى، الشركة المصرية، العالمية للنشر لنجمان،ط1،1997م.

23. محسن محمد قطب معالي: المشتقات ودلالتها في اللغة العربية دراسة تطبيقية في القرآن الكريم، د ط، 2009م.

24. محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة بنغاري، ليبيا، 2008م.

25. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002م.

26. محمد الغزالي: فقه السيرة، دار المعرفة، الجزائر، د ط.

27. مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، مراجعة درويش الجويدي،المكتبة العصرية، بيروت،2002م،ج2.

28. محمد عبد الحليم غنيم:البلاغة النبوية، دراسة تطبيقية، 2003م.

29. مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي،بيروت، 1425هـ،2005م.

30. ابن ناصر الدين الدمشقي: جامع الآثار في السير ومولد المختار تح أبي يعقوب نشأت كمال، دار الفلاح، قطر،ط1،1431هـ،2008م.

31. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، دار فوريال، القاهرة، ط1،2000م.

32. صفي الرحمن المباركفوري:الرحيق المختوم، دار ابن خلدون،د ط ، ج1.

33. صابر الحباشة، عبد الرزاق الجمايعي: التداولية من أوستين إلى غوفمان، عالم الكتب الحديث،إربد، الأردن، ط1،2012م.

34. عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف وحدة الرغاية الجزائر،ط1،2003م.

35. عز الدين علي السيد: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية دار الطباعة المحمدية الأزهر، القاهرة، 1973م

36. عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان،دار المعارف للطباعة والنشر،بيروت لبنان،1982.

37. عباس ارحيلة:مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي،مراك،ط1،2003.

38. عبد الحليم محمد السيد:علم النفس الإجتماعي والإعلامي ،الدمام،دار الصلاح،1979.

39. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح أحمد مصطفى المراغي، القاهرة.

40. عبد الجليل العشراوي: الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1،2012م.

41. عبد الله الخيضري: اللفظ المكرم بخصائص النبي (صلى الله عليه وسلم)، تح أحمد المولود الحبكي، 1410هـ، 1990م،ج2.

42. عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات كلية الآداب والفنون، تونس، منوبة، د ط، 2001م، ج1.

43. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان،ط1،2004م.

44. عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تد محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الجيل بيروت،1411هـ، 1991م.

45. علي محفوظ:فن الخطابة وإعداد الخطيب،دار الاعتصام، د ط.

46. عبد الجليل عبد شلبي:الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، 1986م.

47. عبد الرحمن حجازي: الخطاب السياسي، دراسة أسلوبية، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، ط1،2005 م.

48. علي بن محمد الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، 1980م، ج1.

49. عمر أوكان : اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 2001م.

50. سعد عبد العزيز مصلوح: في البلاغة العربية وأسلوبيات اللسانية، الكويت، ط1 2003م.

51. سامية الدريدي: الحجاج في الشعر القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، جدار للكتاب العالمي، عمان، الأدرن، ط1، 2008م.

52. ابو اسحاق الشاطبي:الموافقات في أصول الشريعة،تصحيح محمد عبد الله الدراز،دار المعرفة،بيروت،ط2،ج3.

53. السكاكي: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م.

54. قطب عبد الحميد قطب: خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة مراجعة محمد عاشور، ط1، 1408هـ، 1988م.

55. قدور عمران : البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1،2012 م.

56. رولان بارت:البلاغة القديمة،ترجمة عمر أوكان،افريقيا الشرق،1994.

57. روبرت هولبتر،عز الدين اسماعيل:نظرية التلقي،جدة النادي الأدبي 1426.

58. شوقي ضيف : العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، ط9.

59. خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009م.

60. الخطيب القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، تح عبد الرحمن البرقوني، دار الفكر العربي، ط1،1904 م.

61. الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط.

ب -المعاجـــم:

1.ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين بن مكرم): لسان العرب، دار صادر بيروت،لبنان، 1990م،ج3.

2.ابن منظور: لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب بيروت، د ط.

3.جميل صليبا: المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، د ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، 1976م،ج1.

4.الفيروز أبادي(مجد الدين محمد بن يعقوب):القاموس المحيط، تح محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان ،ط1،1997،ج1.

5.الفراهيدي(الخليل بن أحمد الفراهيدي):كتاب العين، تح عبد الحميد هنداوي، ط 1، دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،1990م،ج3.

جـــ- المجلات:

1.باديس لهويمل: التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، ع 7، 2011 م.

2.جليل رشيد فالح: خطبة الوداع، دراسة بلاغية تحليلية، مجلة آداب الرافدين ع 13، 2007م.

3.حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، الكويت ، مج 30، ع1، 2001م.

4.محمد الولي: من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات، مجلة فكر ونقد،ع 8، 1998م.

يعد الحجاج من أبرز القضايا التي لقت اهتماما بالغا ضمن اللسانيات التداولية بعد أفعال الكلام والملفوظية ،الأمر الذي جعله يحظى باهتمام كبير من قبل العديد من الدارسين اللغويين .

وقد تمحورت جل الدراسات الحجاجية حول مجموع التقنيات الحجاجية اللغوية التي يعتمد عليها المرسل لتحقيق مقاصده في الحقول المعرفية (المنطق واللسانيات ،الفلسفة وهذا اعتبارا لمفهوم الحجاج، وكيف درس عند العرب القدماء، وكيف نظر إليه في الدرس اللغوي الغربي الحديث، وما مدى نجاعة الإمكانيات التي يوظفها المرسل بغرض تثقيف المتلقي،وكيف يكون الحجاج في خطبة حجة الوداع للرسول_ صلى الله عليه وسلم_

وللإجابة على هذه الأسئلة عمدت إلى وضع خطة منهجية تضمنت مقدمة ،مدخل، فصلين خاتمة .

تناولت في المدخل الذي يحمل عنوان الخطاب الحجاجي ،ظهور الخطابة وأهميتها ومفهوم الخطاب، بدأت فيه بالتعريف اللغوي ثم الإصطلاحي ،ثم تحدثت عن الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه.

الفصل الأول كان نظريا بعنوان "النظرية الحجاجية بين التناول العربي القديم والغربي الحديث،استهل بتعريف الحجاج، التعريف اللغوي والاصطلاحي ،ثم تحدثت عن الحجاج في البلاغة العربية القديمة، وكمفهوم لساني غربي حديث، وانتقلت في الأخير إلى التقنيات اللتي يقوم عليها من خلال الأدوات اللغوية والآليات الحجاجية والسلم الحجاجي،كما تطرقت إلى ضوابط النص الحجاجي وخصائصه.

والفصل الثاني بعنوان"الدراسة التحليلية للخطبة في ضوء النظرية الحجاجية وقد خصصته للجانب التطبيقي " تناولت فيها خطبة حجة الوداع، وموضوعاتها، ثم تحدثت عن مقومات الخطابة النبوية وبلاغة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وفصاحته.

وتطرقت بعد ذلك إلى الأسلوب في خطبة حجة الوداع، حيث قمت باستخراج البنية الحجاجية الكامنة فيها من خلال الجانب التركيبي والدلالي والصور البلاغية والبديعية .

وصولا إلى الخاتمة والتي تضمنت حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث.

Résumé

Tout comme les actes de langage et la énonciation, l'argumentation a suscité un vif intérêt chez les linguistes pragmatiques.

La plupart de ses études dans le domaine de l'a argumentation ont été centrées sur les technique argumentatives qui utilisé l'émetteur afin d'attendre ses objectifs dans les différents disciplines (la philosophie, la linguistique et autres) tout cela en référant à la notion de l'argumentation ,

-Comment le discours argumentatif a été enseigne chez les ancien arabes ?

-Comment est –il conçu par la linguistique occidentale moderne ?

-Les facultés employées par le destinateur pour ….. son destinataire, sont elles efficaces ?

-Comment doit être le démarche argumentative dans le discours.

Pour répondre à ces questions, j'ai établi un plan méthodique qui se résume en chapitre et une conclusion.

Dans l'introduction intitulée

J'ai entamé mon travail par la notion figures du styles employées .

Finalement, dans la conclusion j'ai essayé d'englober les principaux résultats aboutis à travers le présent travail.

فهرس الموضوعات

- مقدمة .....أ
- مدخل 01

الفصل الأول: النظرية الحجاجية تأصيل وتجديد 18

1. مفهوم الحجاج.....20

1 ‡ لـــــــغة 20

1-2- اصطلاحا.....21

2- الدراسات العربية والغربية للحجاج 23

2-1 الحجاج في البلاغة العربية القديمة.....23

2-2 الحجاج كمفهوم لساني غربي حديث.....28

3- التقنيات الحجاجية..... 39

3-1 الأدوات اللغوية.....41

3-2 الطرائق البلاغية وآلياتها.....47

3-3 السلم الحجاجي.....49

4- ضوابط النص الحجاجي وخصائصه.....56

الفصل الثاني: الدراسة التحليلية للخطبة في ضوء النظرية الحجاجية.....60

1 خطبة حجة الوداع.....62

2 موضوعات خطبة حجة الوداع.....65

3 مقومات الخطابة النبوية.....69

4 بلاغة الرسول_صلى الله عليه وسلم_وفصاحته.....72

5 الأسلوب في خطبة حجة الوداع.....75

5-1 الجانب التركيبي.....76

5-2 الصور البلاغية.....81

5-3 الصور البديعية.....83

5-4 الجانب الدلالي.....84

6-الملامح التخاطبية عند الأصوليين 94

خاتمة.....105

ملخص.....108

قائمة المصادر والمراجع.....112

فهرس الموضوعات 118